ايقاظ الحواس
في بعض أسرار سورة الناس

تأليف

السيد عبد الله بن عبد الباري الأهـدل

المتوفى سنة ١٢٧١ هـ
رحمـه الله
تعالى
آمين

الطبعة الأولى
١٤٠٣ هـ

مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة
لصاحبهما
عبد الشكور عبد الفتاح فدا
شارع الحرم ـ باب العمرة
☎ : ٥٧٤٤٥٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

طبع
بإذن مكتب مراقبة المطبوعات
بوزارة الإعلام
بجدة رقم ٦٩٤ - م - ج - ٢٠/٥/١٤٠٣ هـ

ترجمة المؤلف

رحمه الله تعالى

آمين

هو الشيخ العلامة والبحر الفهامة شيخ الإسلام ومفتي الأنام فخر الدين السيد عبد الله بن عبد الباري بن محمد بن عبد الباري بن محمد الطاهر بن محمد بن عمر ابن عبد القادر بن أحمد بن حسن بن عمر بن محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن علي الأهدل .

جوهري النظام أزهري السجايا العظام حلى بعقود نظمه عواطل الأجياد وسبق بجواد فكره الصافنات الجياد وتضلع من فنون العلوم واطلع على خفايا المنطوق منها والمفهوم وكان قوي البادرة كثير المحفوظات وتفوق رحمه الله حتى أنه كان يلقب بالشافعي الصغير .

ميلاده : ولد رحمه الله تعالى بعد الثمان ومائتين بعد الألف بمدينة المراوعة تابع الحديدة من بلاد اليمن .

نشأته : نشأ وترعرع في نعمة أبيه مشمولاً بعنايته مكفولاً برأفته وهو أصغر أولاده التسعة العلماء وهم : محمد المتوفى سنة ١٢٩٠هـ واسماعيل المتوفى سنة ١٢٧٥هـ وأحمد المتوفى سنة ١٢٥٦ هـ والجمالي المتوفي سنة وحسين المتوفى سنة وعبد القادر المتوفى سنة وسليمان المتوفى سنة ١٣٠٠ هـ والحسن المتوفى سنة ١٢٩٣هـ رحمهم الله تعالى .

مشايخه : كثيرون منهم السيد العلامة علي بن عبد الله مقبول الأهدل المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ رحمه الله تعالى ومنهم أخوه الحسن المتوفى سنة ١٢٩٣هـ وعليهما تخرج في أنواع العلوم ، ثم رحل إلى الجبال وكرع وتضلع في علوم البلاغة والأدب وغيرها من العلوم الآلية حتى فاق الأقران وصار المشار اليه بالبنان بحيث أن تلميذه

شيخ الإسلام السيد محمدبن أحمد عبد الباري الأهدل مؤلف الكواكب الدرية بشرح المتممة الأجرومية لا يصفه إلا بالعلامة المحقق ، وقال في حقه كان بحراً لا يجارى وإماماً في جميع العلوم لا يمارى وهو الخبير به وناهيك بهذه الشهادة من شيخ الإسلام .. ثم في عام ١٢٦٠ هـ رحل لحج بيت الله الحرام واجتمع بكثير من علمائها منهم : الشيخ عبد الله سراج الحنفي المولود بمكة المكرمة سنة ١٢٠٠ هـ رحمه الله تعالى ومنهم الشيخ عثمان الدمياطي المكي المتوفى سنة ١٢٦٢ هـ ومنهم الشيخ أحمد الدمياطي المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٢٧٠هـ رحمهما الله تعالى واجتمع فيها بمفتي طرابلس وهو إبراهيم الخليل المتوفى سنة رحمه الله تعالى .

مؤلفاته : أما مؤلفاته فمنها : هذا الكتاب الموسوم بإيقاظ الحواس في بعض أسرار سورة الناس ومنها : النجم الثاقب في وجه المبتدع الكاذب ومنها : رسالة في تعريف الحمد وهي في اللغة ، وهذه النسخ الثلاث موجودة ضمن المجموعة المخطوطة رقم ١ بمكتبة الحرم المكي الشريف ومنها تمرين الطلاب لمعرفة مختصر قواعد الإعراب ومنها السيف البتار لمن يوالي الكفار ويتخذهم من دون الله والمؤمنين أنصار ومنها العقود الزبرجدية في نظم الخصايص المحمدية ومنها القولة الممكنة في فضيلة الأمكنة ومنها نقطة الخال في بيان أقسام الحال في النحو ومنها إتحاف الفكرة بحكم أهل الفترة ومنها بلغة المجتاز على الأسئلة الواردة من حراز ومنها إتحاف ذوي البصائر المستمعة ومنها شرح على نظم احتمالات الدليل للسيد سليمان بن يحي مقبول الأهدل ومنها شرح على القواعد الفقهية وغير ذلك .

تلامذته : كثيرون ومن أشهرهم مفتي الديار اليمنية السيد محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل مؤلف الكواكب الدرية المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ رحمه الله تعالى .

وفاته : وأما وفاته فكانت في سنة ١٢٧١ هـ بمدينة أسلافه المراوعة ودفن بها رحمه الله تعالى رحمة الأبرار ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بالأحدية والصمدية وأعاذ عباده من شرور ذوي النفوس الردية ووقاهم شر الوساوس والخطرات والأذية وصلى الله وسلم على سيد البرية محمد وآله وأصحابه أرباب الأعمال السنية والاخلاق الزكية ، وبعد فهذا ما تيسر زبره مع الأشغال الكثيرة على الأسئلة العظيمة في المعوذتين أوردها بعض أهل المناصب الخطيرة وهو كما قيل السيد العلامة محمد[1] بن عبد الرحمن بن سليمان مقبول الأهدل رحمهم الله تعالى سالني بعض الإخوان أن أجمع عليها شيئاً يكون سبباً لفتح مقفلها وحل معتقلها فاسعفته بمراده واستعنت الله تعالى من فيضه وإمداده .

المسئلة الأولى : ما النكتة في ذكر قل من جملة الدعاء ولم تذكر السورة مجردة عن ذلك : إعلم أن الله سبحانه وتعالى هو أعلم بأسرار كتابه وقد يطلع بعض خواصه عليها إما بإلهام أو فهم أو نور رباني ولكننا نتطفل على أولى الأفهام فنقول أخرج البخاري في الصحيح عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال سالت النبي ﷺ عن المعوذتين فقال : قيل لي قل فقلت . قال أبي رضي الله عنه فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ انتهى . فظاهر الحديث أن النبي ﷺ امتثل أمر الله تعالى باتباع قرآنه على ما سمعه من الملك عن الله عز وجل :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾[2] .

وكذلك سمع الصحابة منه وتلقوه عنه ، والقراءة سنة متبعة فعلى الرسول البلاغ وعلينا الامتثال والإتباع ودقايق الأسرار يهدي الله إليها من يشاء من عباده الأخيار ويمكن أن يقال والله أعلم أنه سبحانه لما أخبرنا في كتابه أن له الخلق

---

(١) المتوفى سنة : ١٢٥٨ هـ .

(٢) سورة النحل الآية : ١٠٢ .

والأمر وبيده النفع والضر وأنه لا كفؤ له ولا ند ولا مثل وأن أحداً لا يقدر على نفع أحد ولا على ضره إلا بإذنه :

قام في النفوس أن لا شر ينسب إلى غيره البتة ولا ضر يخاف من سواه فاخبرنا أنه خلق بعض مخلوقاته من عالم الخلق مجبولا على الشر كالشيطان وبعضها يغلب عليها ذلك كالحساد والسواحر وبعضها جعله إمارة على الشر ، كالغاسق إذا وقب إبتلاء منه لعباده ليلجئوا إليه من شرها فأمرهم بالإستعاذة به منها بأبلغ أمر وهو لفظ قل الذي صار جزءاً من التلاوة والإستعاذة لإطلاق إسم المعوذتين على السورتين فيشمل قل لأنه من أجزاء الإستعاذة مبالغة في الحث عليها فإن المستعيذ إذا سمع في أول الإستعاذة لفظ قل ارتاع لأمر الله فسارع إلى الاستعاذة بقلب مقبل ممتثل فيفوز بالإعاذة من هذا الشر العظيم المهم ثم رأيت في تفسير الفخر الرازي ما لفظه إعلم أن قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ ﴾ (١) .

فيه فوائد أحدها أنه عليه الصلاة والسلام كان ماموراً بالرفق واللين في جميع الامور كما قال تعالى :

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (٢) .

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ، بِالمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) .

ثم أنه عليه الصلاة والسلام كان ماموراً بأن يدعو إلى الله بالوجه الحسن .

﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٤) .

فلذلك لما خاطبهم بيا أيها الكافرون فكانوا يقولون كيف يليق هذا التغليظ

---

(١) سورة الكافرون الآية : ١
(٢) سورة آل عمران الآية : ١٥٩ .
(٣) سورة التوبة الآية : ١٢٨
(٤) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

بذلك الرفق فاجاب بانه مامور بهذا الخطاب لا أنني ذكرته من نفسي فكان المراد من لفظ قل تقرير هذا المعنى . ثانيها كانه تعالى يقول يا محمد ألست أنزلت عليك

﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾(١) .

فحكمت بأن من سوى بين الإله الخالق وبين الجماد في العبودية لا يكون عاقلاً بل يكون مجنوناً والكفار يقولون أنك مجنون وقد أقسمت .

﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾(٢)

فصرح برد مقالتهم بما يفيد براءتي من عيب الإشراك وبراءتك من عيب الجنون فقل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . ثالثها : أن موسى عليه السلام كان في خلقه حدة وخشونة فقيل له .

﴿ قُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً ﴾(٣) .

ومحمد ﷺ لما كان ألين الخلق دمثه أمر بإظهار الغلظة عليهم فقيل له قل يا أيها الكافرون انتهى . نقلته من تفسير الفقيه العلامة حسن بن ابراهيم الخطيب وهو قد التزم النقل عن الفخر الرازي والنيسابوري رحمه الله تعالى ويقال حينئذ قياساً على هذا أنه تعالى أمر نبيه ﷺ بالاستعاذة من شر المذكورات وكان في نسبة الشر إليها والمواجهة به ما عساه يستحي منه ﷺ فقيل له قل أعوذ الخ وفي تفسير الرازي ما لفظه أنه سبحانه لما شرح أمر الإلهية في سورة الاخلاص ذكر هذه السورة عقبها في شرح مراتب مخلوقاته فقال أولا .

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾(٤) .

وذلك أن ظلمات العدم غير متناهيه والحق سبحانه هو الذي فلق تلك الظلمات

---

(١) سورة النحل الآية : ١٧ .
(٢) سورة القلم الآية : ١ و ٢
(٣) سورة طـه الآية : ٤٤
(٤) سورة الفلق الآية : ١

بنور التكوين والإيجاد والابداع فلهذا قال قـل أعوذ برب الفلق انتهى . وفي البيضاوي ما نصه وقرىء هو الله أحد بلا قل مع الاتفاق على أنه لا بد منه في قـل يا أيها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لأن سـورة الكافرون مشاقة وموادعته إياهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب أن تكون فيه قل وأما هذا فتوحيد يقول به تارة ويامر بان يدعو إليه أخرى انتهى . قال الشهاب في حواشيه عليه ، ومثله أي قل يا أيها الكافرون إنما يكون من الله لأنه ﷺ مامور بالإنذار والجهاد بخلاف معاتبة أبي لهب فإنه ﷺ على خلق عظيم وأدب جسيم ، فلو أمر بذلك لزم مواجهته به وأما التوحيد والعوذ والرقا فمما يقوله تارة ويبلغه أخرى فلهذا ورد بهما فسقط ما قيل من أن قل لا تدل على أنه منه ، بل من الله فلا يلزم المواجهـة به وما قيل من أنه لا يصح من الله لا أعبد ما تعبدون فلا بد فيها من قل ليس بشيء لأنه لا يلزم ذكره بهذا اللفظ انتهى . وفي العجايب والغرايب للكرماني قل صار متلواً في السور الأربع لأنها أنزلت جواباً انتهى . وفي تفسير جامع البيان ما لفظه فإن قلت المناسب أن يتعوذ المتعوذ بأعوذ برب الفلق أعوذ برب الناس إلى آخر السورتين من غير لفظ قل قلت المقصود التعوذ بالسورتين المذكور فيهما الاستعاذة من حيث أنهما كلام الله المجيد والسورة هي مجموع قل أعوذ إلى تمام السورة وبدون قل بعض السورة وليس الغرض التكلم بهذه الكلمات فربمـا لا تنفع لو غير النظم المجيد مع أنه تكلم بجميع تلك الكلمات انتهى والله أعلم .

قلت والحديث يشهد له وذلك أنه لما سحر النبي ﷺ نزلت عليـه المعوذتان فأمر أن يستعيذ بهما وهو ظاهر :

المسئلة الثانية : ذكر في الجلالين أن بسم الله الرحمن الرحيم في الفاتحة متعلقة بقولوا محذوفة فهل يصح هنـا أن تتعلق بسم الله الرحمن الرحيم بقل المذكورة لتكون البسملة مقول القول .

قال علماء النحو أن الباء في البسملة يحتمل أن تكون زايدة والحرف الزايد لا يتعلق بشيء ويحتمل أن تكون أصلية وهي متعلقة بمحذوف فعل أو وصف أو مصدر وذلك المحذوف واجب الحذف لجريان البسملة مجرى المثل على الأولين ولوقوعها خبر المبتدأ على الثالث لأن الظرف يجب حذف متعلقه إذا كان خبر المبتدأ ولو في الأصل ذكر ذلك كله العلامة ابن عنقا في شرح العمريطية وعليه فلا يجوز أن تتعلق الباء هنا بقل المذكورة لأنها مذكورة ومتعلق البسملة كما ذكرنا يجب حذفه فلا يتأتى إلحاق بسملة المعوذتين ببسملة الفاتحة لوجود الفارق بأن متعلق تلك محذوف ومتعلق هذه مذكور وأيضاً فقد اختلف القراء في البسملة في غير الفاتحة هل هي من السورة أو لا وبعضهم قال أنها ليست قرآناً فيها وإنما جيء بها للفصل فعلى القول بأنها ليست آية من السورة لا يمكن أن تتعلق ببعض أجزاء السورة وهو ظاهر وعلى القول بأنها آية من السورة هي مذكورة للتيمن في البدأة وصارت فيه جارية مجرى المثل فيجب حذف متعلقها فإن قلت فقد ذكر متعلق البسملة في الحديث حيث ورد :

« إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الخَلَاءَ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ » : وورد « سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الإِنْسِ والجِنِّ إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُم الخَلَاءَ أَنْ يَقُولَ بِسْمِ اللهِ » .

الحديث قلت ليس المراد في الحديث إلا تعليم أن يقولوا هذا اللفظ المذكور وليس المراد إنشاء البسملة لقصد التيمن الذي هو المراد في الآية وهو الذي جرى مجرى المثل فإن قلت فالبسملة في أول الفاتحة جارية مجرى المثل فإن المقصود بها التيمن والفصل فما الذي سوغ للجلال تقدير قولوا فعلاً خاصاً فإنه يشبه ما في الحديث من قصد تعليم الخلق أن يقولوا لفظها فعلى هذا يمكن أن تتعلق البسملة في المعوذتين بقل ليكون المقصود تعليم أن يقول الشخص بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ برب الفلق أعوذ برب الناس فتكون البسملة فيهما أيضاً من مقول القول قلت : الذي حمل الجلال على تقدير ذلك أن يتوافق ما قبل إياك نعبد وما بعدها في كونه مقولا للعباد لأن التوافق أبلغ من التخالف ومع فرض عدم تقديره يتخالف المقول فيكون البعض الاول من مقول الله سبحانه والبعض الثاني من مقول العباد وهو وإن كان صحيحاً في ذاته لكن ليس فيـــه جزالة التناسق والتوافق الذي في الوجه الاول . قال الخطيب في تفسيره والبسملةوما بعدها إلى آخر السورة مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك بإسمه تعالى ويحمد على نفسه ويسأل من فضله ويقدر في أول الفاتحة قولوا كما قاله الجلال المحلي ليكون ما قبل إياك مناسباً له في كونه من مقول العباد انتهى .

نعم قد يقال عند من يجعل البسملة آية من السورة أنه يمكن جعلها في المعوذتين متعلقة بقل المذكورة لتعليم العباد كيف يتحصنون من شرور العباد ولا يعترض بانه قد علمهم التعوذ برب الفلق وبرب الناس ملك الناس إله الناس فلا يحتاج إلى تقدير البسملة متعلقة بقل .

فالجواب لا يلتفت إلى هذا وإلا ورد علينا ما في الحديث :

« بِسْمِ اللهِ اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ » والله أعلم .

المسئلة الثالثة : ما النكتة في إيثار أعوذ على أستعيذ . قال الجزالي : التعوذ الالتجاء من مخوف إلى كاف يكفيه انتهى فقد علمت أن التعوذ التجاء من مخوف ولا سيما من الشيطان الذي هو أصلى العداوة لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً ﴾ (١)

فالمسارعة في طلب الإعاذة منه والتحصن من شره وشر كل ذي شر مطلوبة

---

(١) سورة فاطر الآية : ٦

بلفظ أعوذ الذي هو أخف وأقل حروفاً من أستعيذ إذ السين والتاء فيه حرفان يزادان للتأكيد والطلب والمقام مقام خوف وفزع وانقباض لا مقام أمن وبسط فيناسبه السرعة والتخفيف لقوله تعالى :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾(١)

الآية قال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير قد جاء الكتاب والسنة بأعوذ بالله ولم يسمع بالله أعوذ لأن تقديم المعمول تفنن وانبساط والاستعاذة حال خوف وقبض بخلاف الحمد لله ولله الحمد ، فإنه حال شكر وتذكر إحسان ونعم انتهى وقال الفخر الرازي لم يسمع بالله أعوذ لأن الاتيان بلفظ الاستعاذة امتثال للأمر ، وقال بعضهم تقديم المعمول في الكلام تفنن وانبساط والاستعاذة هرب إلى الله وتذلل وانقباض فقبض عنان الانبساط والتفنن فيه لا يلق انتهى . قلت ولكونه مقام هرب والهارب يستعمل الأخف ما أمكنه ناسب أعوذ وقد قرىء قل عوذ بنقل حركة الهمزة على اللام وهي الفتحة وحذف الهمزة وذلك لقصد المسارعة والله أعلم .

المسئلة الرابعة : ما النكتة في إيثار المضارع على أعذني ، قلت صيغة المضارع تفيد قصد الدوام والاستمرار التجددي فكأن المستعيذ يطلب من الله أن يعيذه من الشيطان دائماً وصيغة الأمر إنما هي لطلب إيجاد الماهية فتصدق بأدنى إعادة ولو مرة فإنها ضرورية قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى .

﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾(٢) .

ما لفظه وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار انتهى .

قلت وقد جاء القرآن والسنة بإيثار هذه الصيغة في أكثر المواطن فقال تعالى

---

(١) سورة فصلت الآية : ٣٦ .
(٢) سورة آل عمران الآية : ٣٦ .

حكاية عن موسى عليه السلام :

﴿ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ ﴾ (١) . وعن نوح عليه السلام .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾ (٢) .

وعن مريم عليها السلام . ﴿ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ﴾ (٣) .

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ (٤) .

والنكتة فيه أيضاً ورانكتة الإستمرار أن فيه إعلاماً لذوي الشرور بانه في جوار الله وحصنه فيحصل لهم الكف عنه والانزجار فإنه لا يقدر أحد على تعدي جوار الله تعالى وحفظه ولهذا قالت مريم عليها السلام لجبريل عليه السلام حين ظنته من أرباب السوء إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً : وإنما جاء موسى عليه السلام بصيغة الماضي في قوله تعالى :

﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ ﴾ (٥) .

إعلاماً لهم بانه قد استعاذ بالله تعالى ومن استعاذ بالله كفاه شر المعتدين وفيه تفاؤل بتحقيق الوقوع حتى كانه قد أُعيذ ، بل قد يقال أن موسى عليه السلام قطع بذلك لأنه لا يخاف باسهم لقوله تعالى :

﴿ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (٦) . ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى ﴾ (٧) .

وغير ذلك فقد تحقق العصمة من شرهم والله أعلم .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٦٧ .

(٢) سورة هود الآية : ٤٧ .

(٣) سورة مريم الآية : ١٨ .

(٤) سورة المؤمنون الآية : ٩٧ .

(٥) سورة المؤمن الآية ٢٧ .

(٦) سورة طه الآية : ٤٦ .

(٧) سورة طه الآية : ٦٨ .

المسئلة الخامسة : ذكر في سورة الفلق من الأسماء الحسنى اسم الرب وذكر في سورة الناس ثلاثة أسماء والحال أن المستعاذ منه في سورة الفلق ؟ متعدد وفي سورة الناس واحد فما النكتة في ذلك قال الفخر الرازي في تفسيره اعلم أن في هذه السورة لطيفة عظيمة وهي أن المستعاذ به في السورة الأولى مذكور بصفة واحدة وهي رب الفلق والمستعاذ منه ثلاث آفات الغاسق والنفاثات والحاسد . وأما في هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بثلاث صفات وهي الرب والملك والإله والمستعاذ منه آفة واحدة وهي الوسواس والفرق بين الموضعين أن الثناء يجب أن يتقدر بقدر المطلوب والمطلوب في السورة الأولى سلامة النفس والبدن والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وإن قلت أعظم من مضرة الدنيا وإن عظمت انتهى .

قلت وقد يجاب بأن الشرور المنسوبة إلى غير إبليس لما كانت تأتي من جهة واحدة ولا تنتهي مضرتها لسوى النفس والبدن جيء في طلب الإستعاذة منها بوصف الرب لأن دفع المضار البدنية والنفسية تربية ولما كان إبليس اللعين أعاذنا الله منه يأتي من الجهات الأربع كما ذكر الله سبحانه عنه :

﴿لَآتِيَنَّهُمْ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [١] .

وتنتهي مضرته للبدن والنفس والدين بولغ في الاستعاذة منه فجيء بثلاثة أوصاف جامعة لمعاني الأسماء الحسني كلها لأن وصف الرب يفيد التربية لأن الإعاذة من شره الذي يضر البدن والنفس تربية ووصف الملك يفيد تحقيق الملكية على العبد بدفع شر الاستحواذ عليه من قبل الشيطان فلا يكون مملوكاً حقيقة إلا له تعالى فإن من استحوذ عليه الشيطان كأنه عبده وكان الشيطان ملكه ووصف

(١) سورة الأعراف الآية : ١٧ .

الإله يفيد تحقيق عبودية العبد وتالهه لله تعالى فإن من أطاع الشيطان واتبع هواه صار كأن الشيطان إلهه .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ﴾ (١) .

الآية هذا المعنى فتح الله به علي وأرجو الله تعالى أن لا يكون مردوداً ولهذا تجد الإستعاذة منه أو طلبها انما يكون باسم الذات وهو لفظ الجلالة أو ما يعطي معناه كقوله تعالى :

﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ ، إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ . لأن الضمير عايد إليه تعالى انـي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ . وقول مريم انـي أَعُوذُ بالرَّحْمَنِ مِنْكَ ﴾ . يقال عليه أن المستعاذ منه هناك غير الشيطان وعلى فرض أن يكون استعاذت من عمله والرحمن إسم للذات أيضاً لأنه إسم مختص به تعالي وقول موسى عليـه السلام : « إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ . لأن طلب الإستعاذة منهما إنما هو من غير الشيطان وإلى هذا المعنى جنح السيد على الوفا كما نقله عنه الشعراني بقوله أجمع أهل الحقايق على أنه الإسم الجامع لحقايق الأسماء كلها قال ونظير ذلك أيضاً :

﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٢) .

أي من ذكر سـاير الأسماء ، قال الشيخ محي الدين ونحـو ذلك أيضاً بالنظر للإستعاذة من الشيطان إنما خص الأمر بالإستعاذة بالإسم الله دون غيره من الأسماء لأن الطريق التي يأتينا منها الشيطان غير معينة فأمرنا بالاستعاذة بالإسم الجامع فكل طريق جاءنا منها يجد الاسم الله مانعاً له من الوصول الينا بخـــلاف الأسماء الفروع

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٥٧ .   (٢) سورة العنكبوت الآية : ٤٥ .

انتهى . وفي تفسير العلامة الفقيه حسن بن ابراهيم الخطيب الذي لخصه من تفسير النيسابوري ما لفظه إنما أمرنا بالاستعاذة بالله هناك أي في آية :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ ﴾ (١) .

لأنه مهم أعظم من حفظ النفس والبدن عن السحر فلذلك ذكر الاسم الأعظم هناك دون ههنا ولأن الشيطان يبالغ في منع الطاعة أكثر مما يبالغ في إيصال الضرر إلى البدن والروح فلذلك خصت الاستعاذة منه بالاسم الأعظم انتهى .

المسئلة السادسة : ما النكتة في تخصيص اسم الرب والملك والاله في سورة الناس قال الخطيب في تفسيره أنه قد اشتملت هذه الاضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان وتضمنت معاني أسمائه الحسنى فإن الرب هو القادر والخالق إلى غير ذلك مما يتوقف الاصلاح والرحمة والقدرة الذي هو بمعنى الربوبية عليه من أوصاف الجمال والملك هو الآمر الناهي المعز المذل إلى غير ذلك من الأسماء العايدة إلى العظمة والجلال وأما الاله فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال فيدخل فيه جميع الأسماء الحسنى ولتضمنها معاني الأسماء الحسني كان المستعيذ بها جديراً بأن يعاذ انتهى .

المسئلة السابعة : ما النكتة في الترتيب بينها قال الخطيب وقع ترتيب هذه الأسماء الثلاثة على الوجه الأكمل الدال على الوحدانية لأن من رأى ما عليه من النعم الظاهره والباطنة علم أن له مربياً فإذا درج في العروج في درج معارفه سبحانه علم أن له غنى عن الكل والكل راجع إليه وعن أمره تجري أمورهم فيعلم أنه ملكهم ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد إيداعهم أنه المستحق للإلهية بلا مشارك له فيها انتهى . وفي جامع البيان أنه من قبيل الترقي من صفات الكمال فان الملك أعلى

---

(١) سورة النحل الآية : ٩٨ .

من الرب لان كل ملك رب ومالك ولا ينعكس كلياً ثم الإله الذي هو خاص بالله جعله غاية البيان انتهى .

وفي تفسير المحقق أبي السعود ما لفظه برب الناس أي مالك أُمورهم ومربيهم بإفاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وملك الناس عطف بيان جيء به لبيان أن تربيته تعالى إياهم ليست بطريق تربية ساير الملاك لما تحت أيديهم من مماليكهم ، بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وإله الناس عطف بيان لبيان أن ملكه تعالى ليس لمجرد الإستيلاء عليهم والقيام بتدبير أُمورهم وسياستهم والتولي لترتيب مبادىء حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق العبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي انتهى .

المسئلة الثامنة : هل الاولى أن يجعل من باب تعدد النعت أو تعدد البدل أو تعدد عطف البيان أو الجميع على حدسوا : الوجوه الثلاثة كلها صالحة في العربية وقد حكاها المفسرون على الوجه الذي يفيد التسوية كقول الجلال المحلي بدلان أو صفتان أو عطفا بيان فظاهره أنها على حدسوا وذلك لأن النعت كما قال ابن عنقا أخو عطف البيان في الجوامد إذ هو تابع يشبه النعت الحقيقي في توضيح متبوعه إن كان معرفة وتخصيصه إن كان نكرة بناء على جواز مجيئه في النكرات وهو الاصح والبدل المطابق هو عطف البيان لا فرق بينهما عند الرضي وإن خالفه البقية ، وقد يقال الغالب في استعمالهم تقديم الارجح لانهم يقدمون ما هو أهم ، وهم بشانه أعنى وعليه فالاولى أن يقال أن هذا من باب تعدد البدل ويليه تعدد الوصف وتعدد عطف البيان آخرها رتبة وذلك مقتضى صنيع الجلال المحلي حيث بدا بالبدل ثم بالنعت ثم بعطف البيان وتوجيهه من وجوه عديده ، إفادة البدل التوكيد لانه في نية تكرير العامل والتوضيح وكونه مقصوداً بالنسبة وقولهم المبدل منه في نية الطرح ، إنما يعنون به من جهة اللفظ دون المعنى وقد يقال بترجيح

عطف البيان من حيث أنه يكون بالاجلى الابين لقـــول ابن عنقا عطف البيان يخالف النعت في أنه لا يكون إلا جامداً غير مؤول بالمشتق وأنه قد يكون أعرف من متبوعه بل أوجبه ابن عصفور تبعاً لظاهر كلام الزمخشري والجرجاني والصحيح أن الشرط كونه أجلى عند المخاطب وإن لم يكن أعرف منه انتهى وقد عرفت أن صفة الملك أخص من صفة الرب وصفة الاله أخص منهما وأن ذلك من باب الترقي في صفات الكمال فيناسبه عطف البيان دون النعت والبدل وهذا الذي أطبق عليه جماعة من المفسرين كابي السعود وجامع البيان وغيرهما ووجهه ما ذكرنا قال في المغني ومن الوهم قول الزمخشري في ملك الناس إله الناس [1] أنهما عطفا بيان والصواب أنهما نعتان ، وقد يجاب بأنهما جريا مجرى الجوامد إذ يستعملان غير جاريين على موصوف وتجري عليهما الصفات نحو قولنا إله واحد وملك عظيم انتهى . ولهـذه النكتة أخره الجلال في الذكر والله أعلم .

المسئلة التاسعة : ما النكتة في الإظهار في موضع الاضمار في ملك الناس إله الناس . قال المحلي إظهار المضاف اليهما زيادة للبيان ، ولم يكن وملكه وإلهه ضميراً قال الكرخي قوله زيادة للبيان لأنه قد يقال لغيره رب الناس كقوله :

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ [2] .

وقد يقال ملك الناس وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان وفي ذلك الترقي من الأدنى إلى الأعلى ونبـه بالصفات الثلاث على مراتب معرفته فإنه يستدل بالنعم على ربه ثم يترقى إلى أن يتحقق احتياج الكل إليـه فيعلم أنه الملك ثم يستدل به على أنه المستحق للعبادة . قال في الكشاف فان قلت فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه مرة واحدة . قلت لأن عطف البيان للبيان فكان مظنة

(١) سورة الناس الآية : ٢ و ٣ .
(٢) سورة التوبة الآية : ٣١ .

للإظهار دون الإضمار انتهى . قلت وهذا مصير منه إلى ترجيح أنهما من باب تعدد عطف البيان والله أعلم . وقال أبو السعود ، وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالإضافة انتهى .

المسئلة العاشرة : هل يصح أن يكون الناس في الجميع اسم فاعل من النسيان حتى يشمل الجن والإنس لم أر من ذكره إلى الآن في هذه الكلمة ، بل ذكروه في الناس الآتي في قوله تعالى : في صُدور الناس [١] .

وقياسه أن يصح كونه هنا كذلك حتي يتوافق النظم القرآني ، بل ويمكن جعل الناس شاملاً للجن على القول باشتقاقه من النوس وهو الحركة أو من النسيان لأن الجميع يتصفون بنسيان حقوق الله تعالى لكن من قال باشتقاقه من الإنس بمعنى الظهور لظهورهم واجتنان الجن أو من الأنس ضد الوحشة لأنس بعضهم ببعض يمنع حمله على الجن ويؤيده اطباقهم على ذكر ما يدل على الاختصاص هنا بالبشر . قال الجلال المحلي خصوا بالذكر تشريفاً لهم ومناسبة للاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم انتهى . وفي تفسير الخطيب خصهم بالذكر وإن كان رب جميع المحدثات لأمرين : أحدهما أن الناس معظمون فاعلم بذكرهم أنه رب لهم وإن عظموا . الثاني : أنه أمر بالاستعاذة من شرهم فاعلم بذكرهم أنه هو الذي يعيذ منهم انتهى . وفي جامع البيان أضافة الى الناس ههنا لأن وسوسة الصدر المستعاذ منها في هذه السورة لا تكون إلا للإنسان فكانه قال أعوذ بربي من شر موسوسي انتهى . قلت لكن دعوى الحصر ممنوعة مما ياتي عن بعضهم من أن الشيطان يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الانس ، وعليه فيصح حمل الناس هنا عليهما ليكون أشمل والله أعلم . وقال أبو السعود رحمه الله تعالى تخصيص الإضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالي وملكوته وألوهيته للإرشاد الى منهاج

---

(١) سورة الناس الآية : ٥ .

الاستعاذة المرضية عنده تعالى . الحقيقة بالاعاذة فإن توسل العايذ بربه وانتسابه إليه تعالى بالمربوبية والملكوتية والمعبودية في ضمن جنس هو فرد من أفراده من دواعي مزيد الرحمة والرأفة وأمره تعـالى بذلك من دلايل الوعد الكريم بالاعاذة لا محالة ولأن المستعاذ منـــه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز إلى إنجايهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى :

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (١) . انتهى .

فقد علمت ما بينوه من الاختصاص وإمكان كونه شاملاً للجن لا يتأتى إلا بالوجه الذي سبق والله أعلم .

المسئلة الحادية عشر : قوله من شر الوسواس هل فيه حذف التقدير من شر وسوسة الوسواس فيكون من باب مجاز الحذف أو يكون مجازاً مرسلاً أو استعارة فما وجه ذلك : ذكر المفسرون في ذلك أقوالا :

الأول ـ أن المراد الشيطان سمي بالحدث أي المصدر لكثرة ملابسته له مبالغة فكأنه وسوسة في نفسه لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه وعليه فهو من قبيل المجاز المرسل كاطلاق اليد على النعمة لكون اليد مصدراً لها فانها تصل إلى المنعم عليه من اليد .

الثاني ـ أن المراد به ذي الوسواس ذكره في الكشاف وعليه فهو من قبيل مجاز الحذف .

الثالث ـ المراد به وسواس الإنسان من نفسه وهي وسوسته التي تحدث بها نفسه ذكره الكرماني في غرايبه وعليه فهو حقيقة لغوية .

الرابع ـ أن الوسواس هو الشيطان نفسه حقيقة لغوية من غير تجوز بحذف

(١) سورة الحجر الآية : ٤٢ .

ولا إرسال ، فإن الوسواس بالفتح كما يستعمل إسم مصدر بمعنى الحدث يطلق على نفس الشيطان الموسوس كما في القاموس والمختار ونصه الوسوسة حديث النفس والوسواس بالفتح الاسم مثل الزلزال ويقال لصوت الحلي وسواس والوسواس أيضاً إسم الشيطان الموسوس انتهى . وعليه فهو حقيقة لغوية مقول فيه وفي غيره بالاشتراك فالتجوز غير لازم كما قاله الجمل في حواشيه ومال إليه الشهاب الخفاجي في حواشيه على البيضاوي واعترض القول بمجاز الحذف والقول بمجاز الارسال ولم أر من حكى وجه الاستعارة ويمكن الحمل عليها بجعل الوسواس مستعاراً للشيطان ووجه المشابهة إشتراكهما في الخفة والخفاء والتكرير إذ لا فرق بين المجاز المرسل والاستعارة إلا بكونها ما كانت العلاقة فيه المشابهة بين المنقول عنه والمنقول إليه في شيء والمرسل العلاقة فيه غير المشابهة كما حققه علماء البيان والله أعلم .

المسئلة الثانية عشر : ما النكتة في الاستعاذة من الوسواس ولم يستعذ من عمله الذي هو الوسوسة كما استعيذ في سورة الفلق ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (١) . ولم يقل مما خلق ، هذا السؤال لم يظهر لي وجهه وأظنه غير مستقيم فقد رأيته مضروباً عليه بعدد يدل على أنه وهم وذلك لأن المستعاذ منه في السورتين هو الشر فالاستعاذة من شر الوسواس كالاستعاذة من شر ما خلق فما هو الذي يشكل فإنما يأتي الاشكال لو كانت القراءة أعوذ برب الناس من الوسواس بحذف شر والله أعلم .

المسئلة الثالثة عشر : ما النكتة في إيثار الذي يوسوس على الموسوس : فيه نكت منها تقرير الغرض الذي سيق الكلام لأجله وهو الاستعاذة من شر الوسواس الذي هو أكبر الأعداء الذي يصل عداوته إلى الاضلال المؤدي لبعد الأبد عن الله تعالى وإضلاله بالوسوسة في صدور الناس فهو متمكن من الاضلال بأبلغ الوجوه بحيث أنه يسلك في صدور الناس ويتمكن من الالقاء في القلب فتمكنه من ذلك

(١) سورة الفلق الآية : ٢ .

دليل على تناهي أمره في الإغواء والاغتيال والاقتدار على انتهاز الفرصة . ومنها أن المخاطبين ما منهم ألا ويدرك وسوسة في صدره فعرفنا الحق أن ذلك الموسوس الذي تعرفون وسوسته هو الشيطان . قال الشعراني الشيطان أعطاه الإسم اللطيف أنه يجري من ابن آدم مجرى الدم ، ولا يشعر به ولولا تنبيه الشارع لنا على لمة الشيطان ووسوسته في صدورنا ما علمنا أن ثم شيطاناً فما أقدر الجان على الاستتار عن أعين الناس إلا الاسم اللطيف ولهذا كانت أبصارنا لا تدركهم إلا متجسدين انتهى . ومنها أن صيغة الموسوس اسم فاعل لافادة الدوام والاستمرار ومن المعلوم أن وسوسة الشيطان متجددة تنقطع بالذكر وتقع بالغفلة وإيثار صيغة المضارع لافادة إحضار صورة الحال إلى ذهن السامع تنبيهاً للناس على كيفية وسوسته حتى كانهم يشاهدونها ليأخذوا حذرهم منها ويستعدوا جلباب الاستعاذة بالله من شرها .

المسئلة الرابعة عشر : الذي يوسوس بعد قوله الوسواس هل هو من باب الاطناب فإن قلتم نعم ، فمن أي أنواع الاطناب : هو من باب الاطناب وهو أداء المقصود بأكثر من عبارة المتعارف لقصد توضيح أمره وشرح حاله ليتمكن في ذهن السامع فضل تمكن لاحتياج الناس الى توضيح حال الوسواس وبيان المحل الذي يوسوس فيه ليرصد بما يدفع شره فاخرج الكلام على كيفيتين التفصيل بعد الاجمال لأنه أوقع في النفس . وأما أنه من باب أي أنواع الاطناب ، فهو من باب مراعاة الجناس الاشتقاقي بين الوسواس ويوسوس . قال السيوطي ومنها مراعاة الجناس ومنه ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١) السورة ذكره الشيخ عز الدين انتهى . ويمكن أن يكون الاطناب هنا لقصد الاهانة والتحقير كما ذكروه في قوله تعالى :

﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ﴾ (٢) .

ويمكن أن يكون لتهويل شأنه وتعظيمة بانه الذي يتمكن من سلوك صدور

(١) سورة الناس الآية ، ١ . (٢) سورة المجادلة الآية ١٩ .

الناس ويوسوس فيها ومن هذا شانه عظيم الخطر شديد المراس يجب التحرز منه ويجوز أن يكون من باب التفسير . قال أهل البيان وهو أن يكون في الكلام لبس أو خفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره قالوا ومن أمثلته :

﴿ انَّ الإنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً اذَا مَسَّهُ الشرُّ جَزُوعاً ﴾[1] .

الآية والله أعلم .

المسئلة الخامسة عشر : التعريف بالاسم الموصول لمعان فما هو المناسب هنا ؟ قال أهل المعاني وتعريفه بالموصولية لكراهة ذكره لخاص إسمه إما ستراً عليه وإما إهانة له أو لغير ذلك فيؤتى بالذي ونحوها موصولة بما صدر منه من فعل أو قول نحو :

﴿ وَالذي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍ لَكُما ﴾[2] . وَرَاوَدَتْهُ التِي هُوَ في بَيْتِهَا[3] .

الآية ذكره في الاتقان وعليه فقد يقال المناسب هنا إهانته واستقباح التصريح باسمه كالذي قال لوالديه أف لكما وقد يقال أيضاً أنه لتقرير الغرض المسوق له الكلام أو لتقرير المسند اليه أو لتقرير المسند أو لتقرير الجميع ويمكن أن يقال الحكمة فيه التنبيه على وجه العلة التي من أجلها أستعيذ من شر الوسواس أي لوسوسته في صدور الناس والله أعلم .

المسئلة السادسة عشر . ما النكتة في إيثار الذي على من يوسوس . قال الرضي في شرح الحاجبية لا يقع من الموصولات وصف إلا ما في أوله اللام نحو الذي والتي وبابها لمشابهتها لفظاً للصفة المشبهة لكونها على ثلاثة فصاعداً بخلاف من وما انتهى . وقال أيضاً في مباحث الموصولات ما لفظه الذي عند البصريين على وزن عم وسح أرادوا الوصف لها من بين الأسماء الموصولة لكونها على وزن الصفات بخلاف من

(١) سورة المعارج الآية : ١٩ و ٢٠ . (٢) سورة الأحقاف الآية : ١٧ .
(٣) سورة يوسف الآية ، ٢٣ .

وما وإنما وصف بذو الطائية نظراً إلى لفظها إذ هو على لفظ ذو الذي يتوصل بها إلى الوصف بأسماء الأفعال انتهى . فقد علم بما تقرر امتناع الوصف بمن وتعين الذي وعلى القول بان الذي مرفوع على القطع أو منصوب على الذم فإيثار الذي لأنه أوضح من مَن والمقام مقام إيضاح وتبيين وذلك لأن الذي نص فيما يكون له وهو المفرد المذكر ومنْ وما مشترك لأنه بمعني المفرد والمذكر والمؤنث والمثنى والجمع المذكرين والمؤنثين ، وقد تاتي نكرة موصوفة ونكرة تامة واسم شرط واستفهام فهي مبهمة لا تصلح للإيضاح والله أعلم .

المسئلة السابعة عشر : ما محل في صـدور الناس ، محله النصب على أنه مفعول فيه الوسوسة لأن وسوسة الموسوس واقعة فيها وعلامة المفعول به أنه يصح أن يخبر عنه باسم مفعول تام مصوغ من مادة عامله فنحو ركبت الفرس وضربت زيداً الفرس مركوب وزيد مضروب ، وأما نحو دخلت الدار ومررت بزيد فإنما يقال فيه الدار مدخول فيها وزيد ممرور به وإن كان يطلق على ذلك أنه مفعول به معنى إطلاقاً عاماً وهو متعلق بيوسوس ويجوز أن يقال محله النصب على الحاليه وتعلقه بكائن محذوف تقديره الذي يوسوس كائناً في صدور الناس والله أعلم .

المسئلة الثامنة عشر : ما النكتة في إيثار صدور على قلوب أو أفكار : نكتة ، ذلك المبالغة في نعت وسوسته بحيث أنها تملأ الصدور التي هي كراسي القلوب فيمتلأ بها القلب ويضيق بها الصدر حرجاً ، بل قيل أنهـا في جميع الجسد كما سياتي ولأنه لا يتوصل الى القلب الا بمجاوزة الصدر . قال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير على حديث :

« اللَّهُمَّ إني أعوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ وَوَسْوَسَةِ الصَّدْرِ » .

ما لفظه أي حديث النفس بما ينبغي وأضافها للصدر لأن الوسوسة في القلوب التي في الصدور انتهى .

ففي الآية المجاز المرسل باطلاق اسم المحل على الحال مبالغة وقد فسر الصدور بالقلوب في الآية الجلال المحلي واطلاق الصدر على القلب شايع في الكتاب والسنة كقوله تعالى .

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾ (١) . وقوله تعالى .

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ في صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ (٢) .

وورد في الحديث « ووسوسة الصدر » كما سبق وورد « واسلل سخيمة صدري » ، وورد « الإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر » إلى غير ذلك من الأحاديث والحامل على هذا ورود الأحاديث بوقوع وسوسته على القلب ، كما ورد « الشيطان جاثم على قلب المؤمن » . وسيأتي وحديث « وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً » . ولأن الذي يتاثر بوسوسته هو القلب الذي يعقل به العبد كما هو ظاهر ولهذا قالوا في حديث « إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها » . وفي رواية « صدورها » أن المراد بانفسها قلوبها والله أعلم .

هذا وقد ذكر العلامة ابن العماد في كتاب كشف الأسرار نقلاً عن النيسابوري أن مثل تسلط الشيطان على قلوب العباد ، كمثل الفراش يزيد أن يطفىء السراج فيحرق نفسه كذلك يوسوس الشيطان فيحترق بنور اليقين وهو نور الإيمان ، ثم يصير ممنوعاً عن القلب كما يصير ممنوعاً عن السماء ، وإنما يوسوس في صدور الناس وحافظ القلب هو الله تعالى والحافظ اذا كان منتبهاً لا يقدر السارق أن يدخل خزانته انتهى :

ورأيت في تفسير العلامة حسن بن ابراهيم الملخص من تفسير النيسابوري إنما قال في صدور الناس ولم يقل في قلوبهم لأن الشيطان لا تسلط له على قلب المؤمن

---

(١) سورة الحجر الآية : ٤٧ . (٢) سورة العنكبوت الآية . ٤٩ .

النفي هو بين أصبعين من أصابع الرحمن انتهى . وكأنهم لحظوا حرمـــة قلوب المؤمنين التي استنارت بنور اليقين ولم يجد الشيطان سبيلاً إليها فلو حمل الصدور على القلوب لعم قلوب الصالحين والطالحين ، وقد حفظ الله قلوب عباده من سلطان الشيطان وقطع طمعه منهم البتة بقوله :

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيس لَكَ عَلَيْهِم سُلطَانٌ ﴾[1] . وقال ﴿ إِلَّا عِبَـــادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ ﴾[2] .

وأيضاً فقلب المؤمن بيت الله كما ورد في الحديث القدسي .

« مَا وَسعنِي أَرْضِي وَلَا سَمائِي وَوَسِعَنِي قَلْبُ عبْدِي المُؤمن » .

ولا يجتمع في مكان واحد ظلمة ونور لإستحالة اجتماع الضدين والى هذا أشار السيد حاتم[3] بن أحمد الأهدل حيث قال شعراً :

يا قلب إنك بيت للحبيب فلا ★ تخف غزو واش لومه انفصلا

ويستفاد من هذا المعنى الذي ذكرناه أن الشيطان لا يوسوس في قلوب الأصفياء البتة ويؤيده الحديث :

« إنَّ الشَّيْطَانَ لم يَلْقَ عُمَرُ مُذْ أسْلَمَ إلاَّ خَرَّ بوَجْهِهِ » .

أخرجه الطبراني عن سديسة . قال المناوي وهكذا حال الأكابر معه حتى قال أبو حازم ما الشيطان حتى يهاب ، فوالله لقد أطيع فما نفع وعصي فما ضر . وقال بعض العلماء ، لولا أن الحق سبحانه أمرنا بالإستعاذة منه ما استعذت منـــه لحقارته . وقال في حديث :

« إنَّ الشَّيْطَانَ إذَا سمِعَ النِّدَاءَ بالصَّلَاةِ حَالَ وَلَهُ ضُرَاطٌ » .

ان في الحديث حقارة الشيطان وهوانه على أهل الإيمان ولو ناصبوه واستعدوا

(١) سورة الحجر الآية : ٤٢ (٢) سورة الحجر الآية : ٤٠ .

(٣) المتوفى سنة ١٠١٣ هـ رحمه الله تعالى .

له لأعيوه تعباً وأبعدوه هرباً لأنه اذا حصل له من الأذان ما ذكر، وهو لا قصد له فكيف بمن قصده واستعد له بيد أن الأكابر لا يبالون به لعدم السلطان له عليهم فهو يروض نفسه على ضرهم، فلا يقدر ويضر نفسه كالفراش يأمن النار فيلم بها فتحرقه انتهى. وقال أيضاً بعد الشيطان من الإنسان على قدر ملازمته للذكر، والناس في ذلك متفاوتون ولهذا تجنب أولياء الرحمن انتهى. لكن قال الإمام حجة الإسلام الغزالي في حديث :

« إِنَّ شَيْطَاناً مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ فَعَرَضَ لِي فِي صَلَاتِي فَشَدَّ عَلَيَّ لِيَقْطَعَ الصَّلَاةَ »

الحديث، ان في الحديث اشارة الى أنه لا يخلو قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة انتهى. وهو الذي ينبغي اعتماده لعموم الأدلة فيستفاد منها أنه لا يخلو قلب من جولان الشيطان فيه بالخواطر لكن المعصوم لا تضره تلك الخواطر ولا تؤثره لعدم سلطنته عليهم المفيدة للإستيلاء وأولياء الشيطان يتبعونه فيما يزين لهم بالوسوسة. نعم العموم السابق في غير النبي ﷺ، أما هو فقد أخبر أنه قد أعانه الله على شيطانه فاسلم من الإسلام كما قيل به أو أنه ﷺ يسلم من آفة وسوسته كما قيل بالوجهين في حديث ولكن الله أعاني عليه فاسلم، والحديث الذي فيه تفلت الجني عليه ليقطع عليه صلاته ليس فيه أنه وسوس له، فإن الوسوسة هي الصوت الخفي الواصل إلى القلب بغير سماع، وهذا إنما عرض عليه جهرة بشهاب من نار لما أنه قد أيس من الوصول الى قلبه الشريف لنزاهته عن حظ الشيطان بشق الصدر وغسله واخراج المضغة السوداء التي قال فيها جبريل عليه السلام هذا حظ الشيطان منك أي محل وسوسته والله أعلم.

المسئلة التاسعة عشر. الناس في صدور الناس هل يصح أن يكون اسم فاعل

من النسيان ويكون من الجنــة والناس بياناً له . قال في الكشاف الأولى أن يقال المراد بقوله في صدور الناس كقوله يوم يدع الداع[1] بحذف اليـاء ، وإذا كان المراد به ذلك فح[2] يمكن تقسيمه الى الإنس والجن لأنهما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله تعالى انتهى .

وفي الخازن أن الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الناس وشيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس أخرى إذا ذكر العبد ربه كذلك شيطان الإنس قد يوسوس للإنسان كالناصح له فإن قبل زاد في الوسوسة وان كرهها انخنس وانقبض فكأنه تعالى أمر أن يستعاذ به من شر الجن والانس انتهى .

قلت : وقد جعل بعضهم لفظ ناس متناولاً للثقلين لغة لما في الحديث «أتيناك ناس من الجن» . كاطلاق لفظ النفر والرجال عليهم وهـــو ظاهر على القول باشتقاق هذا الاسم من النوس وهـو الحركة أو من النسيان لأن الثقلين متصفان بالحركة ونسيان حق الله تعالى ، واستبعده أبو السعود رحمه الله تعالى تبعاً للزمخشري وارتضى الوجه الأول وسيأتي مزيد بيان لذلك .

المسئلة العشرون . هل الناس جمع أو اسم جمع أو اسم جنس ؟ قلت قد قال بكل من هذه الأقوال الثلاثة قايل ، قال في القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع إنس أصله أناس جمع عزيز أدخل عليه أل انتهى .

وفي كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ما لفظه ، والناس هم الجماعة من الحيوان المتميز بالصور في صفة الانسانية وهو جمع انسان والانسان في الأصل أنيسان بالياء ألا ترى أنك اذا صغرته رددت الياء اليــه فقلت انيسيان فاسقطوا الياء منه ونقلوا حركته إلى السين فصار إنساناً واختلف العلماء في

(١) سورة القمر الآية : ٦ ؛

(٢) قوله فح : هذا اصطلاح للمتقدمين وله كتب خاصة ومعناه فحينئذ .

سبب تسميته بهذا الاسم ، فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سمي إنساناً لأنه عهد اليه فنسي . قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ ﴾ (١) .

وقال بعض أهل المعاني سمي إنساناً من الأنس لظهوره وادراك البصر إياه من قولك أنست كذا أي أبصرته وقيل لأنه يستأنس به ، وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام أنسه بزوجته حوى فسمي إنساناً انتهى .

وفي تفسير البيضاوي الناس أصله أناس وهو اسم جمع كرجال إذ لم يثبت فعال من أبنية الجمع مأخوذ من أنس لأنهم يستأنسون بأمثالهم أو أنس لأنهم ظاهرون يبصرون ولذلك سمي بشراً كما سمي الجن جناً لاجتنانهم واللام فيه للجنس انتهى .

وأطلق عليه كثير من المفسرين اسم الجنس والمراد الجمعي لا الافرادي والفرق بين الجمع واسم الجمع أن الجمع لا يوصف بمفرد ولا يميز به ولا يصغر على لفظه عند الجمهور قياساً غير جمع القلة منه ، بل يرد لمفرده أو جمع قلته ويصغر واسم الجمع يصغر على لفظه ويصح وصفه بمفرد ويميز به ويعطف مثله عليه واسم الجنس الجمعي حكمه وصفاً وتصغيراً ، كاسم الجمع ومدلوله ما فوق الاثنين مطلقاً على الأصح ذكر هذه الفروق ابن عنقا في شرح العمريطية ، وقال الرضي الفرق بين اسم الجمع واسم الجنس مع اشتراكهما في أنهما ليسا على أوزان جموع التكسير لا الخاصة بالجمع كأفعلة وأفعال ولا المشهورة كفعلة نحو نسوة أن اسم الجنس لا يقع على الواحد والاثنين بخلاف اسم الجمع وأن الفرق بين واحد اسم الجنس وبينه فيما له واحد متميز إما بالياء أو بالتاء بخلاف اسم الجمع انتهى فتلخص في الناس ثلاثة أقوال :

الأول - جمع تكسير وهو المحكي عن القاموس وتفسير الثعالبي .

الثاني - اسم جمع الذي ذكره صاحب الكشاف ورجحه وضعف القول بالجمع

(١) سورة طه الاية : ١١٥ .

وتبعه محشوا كشافه والبيضاوي وهوا الراجح .

الثالث ـ أنه اسم جنس جمعي ولم أر من ذكر أنه اسم جنس إفرادي واطلاق الأصوليين أن الناس في قوله تعالى .

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾[1] ..

أي النبي ﷺ وفي قوله الذين قال لهم الناس أنه نعيم بن مسعود الأشجعي إن الناس قد جمعوا لكم[2] . أبو سفيان كل ذلك من باب إطلاق العام مراداً به الخاص تجوزاً يدل على امتناع القول فيه باسم الجنس الافرادي وإلا لما تكلفوا القول بذلك . نعم من يقول بان وجه تكلفهم ما فيه من العموم وهو مستفاد من أل لا من لفظ ناس قد ينازع فيه .

المسئلة الحادية والعشرون : ما النكتة في إيثار الجنة على الجن : الذي يظهر والله أعلم ، أن نكتة ذلك التفنن واخراج الكلام على أساليب متعددة فقد جاء التنزيل بلفظ الجن في كثير من المواضع وسموا بذلك لاجتنانهم أي استتارهم عن العيون وسمي الناس ناساً لظهورهم من الايناس أي الابصار ، وقد أفاد الرضي رحمه الله تعالى في شرح الحاجبية أن التاء تاتي لاربعة عشر معنى : منها أن تدخل لتاكيد تانيث الجمع وهم إما واجبة الدخول وذلك في بابين أفعله كاغربة وفعله كغلمة والجايزة في ثلاثة أبنية فعاله وفعوله والجمع الاقصى انتهى فجنة وزن فعله ، وعليه فنكتة إيثار الجنة هي تأكيد تأنيث الجمع ، وقال الكرخي الجنة جمع جني كما يقال انس وانسي والهاء لتأنيث الجماعة انتهى .

ولا بعد في ذلك ، فقد ذكر الجلال المحلي في تفسير قوله تعالى .

---

(١) سورة النساء الاية : ٥٤ . (٢) سورة آل عمران الاية : ١٧٣ .

﴿ بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾[١] .

أن التاء للمبالغة والله أعلم .

المسئلة الثانية والعشرون . ما النكتة في تقديم الجنة على الناس : نكتة ذلك والله أعلم سبقهم في الوجود على الانس وهو من أسباب التقديم كتقديم الملائكة على البشر والليل على النهار والظلمات على النور ، وقد ورد التنزيل بتقديمهم على الجن في أكثر المواطن وتقديم الانس على الجن في آية .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾[٢] .

لمناسبة المقام له ويمكن أن يقال أيضاً أن نكتة ذلك التفنن أو مناسبة رؤس الآي .

المسئلة الثالثة والعشرون . ما محل من الجنة والناس ، قال ابن عادل في تفسيره من الجنة والناس فيه أوجه :

أحدها ـ أنه بدل من شر باعادة العامل أي من شر الجنة .

الثاني ـ بدل من ذي الوسواس لأن الموسوس من الجن والانس .

الثالث ـ أنه حال من الضمير في يوسوس حال كونه من الجنسين .

الرابع ـ أنه بدل من الناس وجعل من تبيينية وأطلق على الجن اسم الناس لأنهم متحركون في إرادتهم .

قال أبو البقاء : إلا أن الزمخشري أبطله ، فقال بعد أن حكاه واستدلوا بنفر ورجال وما أحقه إلا أن الجن سموا جناً لاجتنائهم ، والناس ناساً لظهورهم من الايناس وهو الابصار كما سموا بشراً ولو كان يقع الناس على الثقلين وصح وثبت لم يكن مناسباً لفصاحة القرآن وبعده الصنيع وأجود منه أن يراد بالناس الناسي

(١) سورة القيامة الاية : ١٤ . (٢) سورة الأنعام الاية : ١١٢ .

لقوله ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ (١). وكما قرىء مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ (٢).

ثم يبين بمن الجنة والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله تعالى يعني اجتزاء بالكسرة عن الياء والمراد اسم الفاعل.

الخامس ـ أنه بيان للذى يوسوس على أن الشيطان ضربان جني وإنسي كما قال تعالى:

﴿شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالجِنِّ﴾ (٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال لرجل هل استعذت من شياطين الإنس.

السادس ـ أن يتعلق بيوسوس ومن لابتداء الغاية أي يوسوس في صدورهم من جهة الجن والإنس.

السابع ـ أن والناس عطف على الوسواس أي من شر الوسواس والناس ولا يجوز عطفه على الجنة لأن الناس لا يوسوسون في صدور الناس إنما يوسوس الجن فلما استحال المعنى حمل على العطف على الوسواس، قاله مكي وفيه بعد كبير وقد تقدم أن الناس يوسوسون أيضاً بمعنى يليق بهم.

الثامن ـ أن من الجنة حال من الناس أي كاينين من القبيلين. قاله أبو البقاء ولم يبين أن الناس المتقدم أنه صاحب الحال وعلى كل تقدير فلا يصح معنى الحالية في شيء منها كالأول ولا ما بعده ثم قال قيل وهو معطوف على الجنة يريد والناس الأخير معطوف على الجنة وهذا الكلام يستدعي تقدير شيء قبله وهو أن يكون الناس عطفاً على غير الجنة وبالجملة فهو كلام يتسامح فيه انتهى.

فهذه ثمانية وجوه في محل من الجنة والناس زاد في العجايب والغرايب للكرماني

---

(١) سورة القمر الاية : ٦. (٢) سورة البقرة الاية : ١٩٩.
(٣) سورة الأنعام الاية : ١١٢.

قولاً بأن من الجنة والناس يجوز أن يكون متصلاً بالناس الأول في قوله : ﴿ برَبِّ النَّاسِ ﴾ [١] . وقولاً بأن الذي مبتدأ خبره من الجنة والناس أي الذي يوسوس يكون من الجنة ويكون من الناس فهذه عشرة أقوال واختار السفاقسي كونها تبعيضية أي كايناً من الجنة والناس فهو في موضع الحال أي ذلك الموسوس بعض الجنة وبعض الناس انتهى . فقد علم مما نقلنا هنا ما محل من الجنة والناس كما لا يخفى على ممارس الإعراب والله أعلم .

المسئلة الرابعة والعشرون : ما الأولى أن يتعلق من الجنة والناس بالذي يوسوس أو بالناس في قوله في صدور الناس ، قال أبو السعود من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على أنه ضربان جني وانسي كما قال عز وجل : ﴿ شَيَاطِينَ الانسِ وَالجِنِّ ﴾ [٢] . أو متعلقة بيوسوس أي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الإنس وقد جوز أن يكون بياناً للناس على أنه يطلق على الجن أيضاً حسب إطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه وأقرب منه أن يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ [٣] .

ثم يبين بالجنة والناس فإن كل فرد من أفراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى انتهى . فالقول الأول هو الراجح واختاره الزمخشري تبعاً للزجاج ، وقال الشوكاني في فتح القدير والقول الأول أرجح هذه الأقوال وإن كان وسوسة الناس في صدور الناس لا تكون إلا بالمعنى الذي قدمناه .

المسئلة الخامسة والعشرون . من الجنة والناس هل هو ظرف مستقر أو لغو قال السيد الشريف الجرجاني الظرف اللغو ما كان العامل فيه مذكوراً نحو زيد

---

(١) سورة الناس الاية : ١ . (٢) سورة الانعام الاية : ١١٢ .

(٣) سورة القمر الاية : ٦ .

حصل في الدار والظرف المستقر هو ما كان العامل مقدراً نحو زيد في الدار انتهى .

وقال السيد الشريف في حواشي الكشاف وفسروا المستقر بما عامله محذوف عام وسمي مستقراً لأنه استقر فيه معنى عامله وفهم منه انتهى .

وضبطه السيد العنقاوي في شرح العمريطية بفتح القاف فقد علمت إنما كان من هذه الظروف متعلقاً بمذكور فهو ظرف لغو وما كان متعلقاً بمحذوف فظرف مستقر وعليه فحيث قدرنا من الجنة والناس حالاً أو وصفاً أو بياناً أو خبراً فهو ظرف مستقر لأن متعلقه كون عام محذوف وحيث قدرناه متعلقاً بيوسوس أو بالناس ومن ابتدائية فمحله نصب على المفعولية فهو ظرف لغو والله أعلم .

المسئلة السادسة والعشرون : الإسناد في يوسوس حقيقة عقلية أو مجاز عقلي : هو حقيقة عقلية على رأي من جعل من الجنة والناس بياناً للناس وجعلوا الموسوس بكسر الواو وهو الشيطان والموسوس له بفتح الواو الجن والإنس ، وذلك لأن إسناد الوسوسة إلى الشيطان إسناد الفعل إلى ما هو له عند المتكلم ، فهو حقيقة عقلية وسيأتي بيان معنى الوسوسة لغة وشرعاً . وأما على رأي من جعل من الجنة والناس بياناً للموسوس أو الذي يوسوس وعد الموسوس بكسر الواو قسمين شيطان الإنس وشيطان الجن لقوله تعالى :

﴿ شَياطِينَ الإِنسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً ﴾ [1] .

فيكون في يوسوس إسنادان في طي إسناد أحدهما : حقيقي وهو إسناده إلى الجن والآخر مجاز عقلي وهو إسناده إلى الانس ، وإلى هذا أشار الجلال المحلي في تفسيره بقوله واعترض الأول من الوجهين الذي ذكرهما في بيان من الجنة والناس

(١) سورة الانعام الاية : ١١٢ .

بأن الناس لا يوسوسون في صدور الناس ، إنما يوسوس في صدورهم الجن وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضاً بمعنى يليق بهم في الظاهر ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه بالطريق المؤدي الى ذلك انتهى . أي كالنميمة يسمعها الشخص فيتلقاها السمع فيؤديها الى القلب فتحدث فيه شيئاً فاطلق على ذلك وسوسة باعتبار التسبب فيها فهو مجاز عقلي فإسناده إلى الإنس مجازي لملابسة الفعل بالسببيه ، وح(١) ، فهو إما من باب حمل اللفظ على حقيقته ومجازه عند من يراه أو من باب التغليب أو من باب عموم المجاز وهو أولى والله أعلم . ويأتي مثل هذا في إسناد الخناس ويكون خنس الإنس بمعنى يليق بهم .

المسئلة السابعة والعشرون : ما النكتة في ختم سور القرآن بهذه السورة الظاهر والله أعلم ، الاشارة إلى حفظ الكتاب العزيز من شرور الشياطين الجنية والانسية فلا يتطرق إليه تحريف ولا إلقاء ويكون فيه قطع لأطماعهم من ذلك بالكلية من حيث أنه سبحانه قال :

« وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ »(٢) .

وقال « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ »(٣) .

والأمنية التلاوة فاحكم الله آياته وأخبرنا بانه تكفل بحفظ كتابه :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »(٤) .

وقد يكون فيه إشارة إلى الاستعاذة بالله من الوسوسة الشيطانية والانسية العارضة لمن يتلو كتابه لقوله تعالى :

---

(١) قوله و ح : أي وحينئذ ومثله قولهم فح : أي فحينئذ وهذا اصطلاح للمتقدمين وله مراجع خاصة .

(٢) سورة الانعام الاية : ١١٢ .

(٣) سورة الحج الآية : ٥٢ .

(٤) سورة الحجر الاية : ٩ .

« فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم »(١).

ذهب بعض العلماء إلى الاستعاذة عقب التلاوة حملاً للفظ على حقيقته ومن ثم ندب الشارع الى قراءة المعوذتين عقب الصلاة وهي محتوية على قراءة وذكر لما أن المعوذتين تحصن من الشيطان أن يلقي في قلب العبد عجباً ، أو رياءً يحبط به عمله وقد أرشد الشارع الى قراءة المعوذتين عند الصباح والمساء ثلاثاً وأخبر أنها تكفي قاريها في هذين الوقتين من كل شيء فجعلها في خواتم الأمور ومباديها هذا ما فتح الله به علي في ذلك ، ولا أقول أنه مراد الله . وقد رأيت في حواشي الكشاف للسيد الشريف على قول الزمخشري وجعله مفتتحاً بالتحميد ، أي جعله مفتتحاً بالسورة المشتملة على التحميد ولذلك سميت السورة فاتحة الكتاب وجعله مختتماً بالسورة المشتملة على الاستعاذة فكانت ، خاتمة الكتاب قياساً على فاتحته وفي الافتتاح بالتحميد تنبيه للتالي على أن يحمد الله تعالى على نعمة التوفيق واستجلاباً للمزيد ، واستدامة للتقييد ، وفي الاختتام بالاستعاذة حث لمن ختم القرآن على أن يستعيذ بربه من وسوسة الشيطان ونفخه واشارة لطيفة الى أن العود الى باريه أحمد أي ولهذا قال ﷺ حين سئل أي الأعمال أحب الى الله قال : « الحال المرتحل » قيل ما الحال المرتحل قال : « صاحب القرآن يضرب من أول القرآن الى آخره كل ما حل إرتحل » انتهى .

وفي تفسير النيسابوري اشارة الى أن نكتة ختم القرآن بسورة الناس ما فيها من تعريف ذاته بكونه رب الناس ملك الناس إله الناس ، وفيه أيضاً ما لفظه قوله إله الناس اشارة الى ساير مراتبها من العقل بالفعل والعقل المستفاد فإن الانسان إذ ذاك كأنه صار عالماً معقولاً مضاهياً لما عليه الوجود فعرف المعبود وتوجه الى عرفانه ، والعبادة له فاتصف بصفاته وتخلق باخلاقه ، ثم أن العقل والوهم قد

(١) سورة النحل الاية : ٩٨ .

يتساعدان على تسليم بعض المقدمات ، ثم اذا آل الأمر الى النتيجة ساعد العقل عليها دون الوهم فكان الوهم خنس أي رجع عن تسليم المقدمات فلهذا أمر الله سبحانه بالاستعاذة من شره ، وقد ورد مثله في الحديث . روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« يَأتِي أَحَدَكُمْ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى يَقُولَ من خَلَقَ رَبَّكَ فإذَا بلَغَهُ فلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ » .

وهذا آخر درجات النفس الكاملة الانسانية ، فلا جرم وقع ختم القرآن العظيم عليه انتهى .

وفي حاشية الشهاب الخفاجي علي البيضاوي ما افظه ، ثم أنه قيل أن حروف هذه السورة غير المكرر اثنان وعشرون حرفاً ، وكذا حروف الفاتحة بعد السنين التي نزل فيها القرآن ، وهو سر بديع كما قيل أن أول الحروف منه باو آخرها السين فكانه قيل بس لانه كاف عن كل ما سواه اشارة الى قوله تعالى :

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ (١) .

ومثله من الرموز كثير لا ينبغي أن يقال أنه مراد الله تعالى .

المسئلة الثامنة والعشرون . ما حقيقة الوسوسة لغة وشرعاً : حقيقة الوسوسة لغة حديث النفس والصوت الخفي ، ففي المختار الوسوسة حديث النفس ، ويقال لصوت الحلي وسواس انتهى .

وقال ابن السمين الوسوسة الكلام الخفي المكرر ، ومثله الوسواس وهو صوت الحلي والوسوسة أيضاً الخطرة الردية . وقال الليث الوسوسة حديث النفس والصوت الخفى كالهمس انتهى .

(١) سورة الانعام الاية : ٣٨ .

وحقيقتها شرعاً القاء الشيطان الأمر في القلب من غير صوت ، ذكره ابن العماد في كشف الأسرار . وقال القرطبي وسوسته هي الدعاء إلى طاعته بكلام خفي حتى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع صوته انتهى .

وقد ورد في كيفية وسوسة الشيطان أخبار وآثار وحكايات فعن ابن عباس رضي الله عنهما « يضع الشيطان فاه على قلب ابن آدم فإذا سهى وغفل وسوس ، وإذا ذكر الله خنس » أخرجه جعفر ابن أحمد بن فارس ، وأخرجه سعيد بن منصور من وجه آخر عن ابن عباس ولفظه يولد الانسان والشيطان جاثم على قلبه فإذا عقل وذكر اسم الله خنس واذا غفل وسوس ، وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو يعلى عن أنس رضي الله عنه « ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه » ، وورد أن عيسى عليه السلام سال ربه أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم فاراه ، فإذا رأسه مثل رأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب فإذا ذكر العبد ربه خنس ، وإذا ترك مناه وحدثه . وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل خرطوم كخرطوم الخنزير في صدر الانسان ، فاذا ذكر العبد ربه خنس ، وفي القرطبي عن شهر بن حوشب عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال سالت الله أن يريني الشيطان ومكانه من ابن آدم فرأيته يداه في يديه ورجلاه في رجليه ومشاعبه في جسده غير أن له خرطوماً كخرطوم الكلب فاذا ذكر الله تعالى خنس ونكس ، واذا سكت عن ذكر الله أخذ بقلبه . قال الخطيب فعلى هذا هو متشعب في جميع الجسد أى في كل عضو منه شعبة ، وذكر عن الحسن البصري أن بعضهم سال الله عز وجل أن يريه الشيطان كيف يوسوس لابن آدم فاراه الإنسان في صورة بلور حتى يصف جميع أعضائه وصار الشيطان في صورة الذباب فادخل خرطومه في مرفقه الأيسر حتى وصل إلى قلبه وصار يوسوس ، ورآه بعضهم في صورة ضفدع هذا والحكايات في ذلك كثيرة ولا تعارض فيها فإن الله سبحانه يكشف لكل عبد عن

كيفية الشيطان بصورة متجسدة لتشكله في ما شاء من الصور بإذن الله تعالى .

المسئلة التاسعة والعشرون : ما علامة وسواس الإنس ، وما علامة وسواس الجن ، هذا السؤال يحتمل وجهين :

الأول ـ السؤال عن الفرق بين وسواس شياطين الجن في القلوب وبين وسواس شياطين الإنس لبعضهم بعضاً .

والثاني ـ الفرق بين وسوسة الشيطان في القلب وبين وسوسة قلب الانس نفسه ، فأما الأول . فالجواب عنه أن وسوسة الجن القاء التزين ، وحب الشهوات ووعد الفقر والأمر بالفحشاء وكلما يؤدي إلى شر حالاً أو مآلاً في قلب الإنسان ويكون التسلط المذكور على باطن الإنسان ولا يشاهد العبد الشيطان وعلامته العظمى أنه إذا ذكر الله خنس وإذا غفل عن ذكره وسوس كما قال تعالى :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنهُ هُوَ السمِيعُ العَلِيمُ ﴾[1] . الآية .

وأما وسوسة الانس فبالاحتيال إلى إضلال الانس مثلهم بالغيبة والنميمة والمحارشة ، وقد يأتي به على وجه النصيحة تدليساً وإيهاماً ، وعلامته العظمى أنه لا يخنس بذكر الله تعالى ، بل بالصد والاعراض . قال مالك بن دينار إن شيطان الانس أشد عليّ من شيطان الجن ، وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الانس يحثني ويجرني إلى المعصية عياناً . قال العارف الشعراني نقلاً عن العارف ابن عربي إن شياطين الجن ليس لهم سلطان إلا على باطن الانسان بخلاف شياطين الانس لهم سلطان على ظاهر الانسان وباطنه وان وقع من شيطان الجن وسوسة واغواء للناس في ظاهرهم ، فإنما ذلك بحكم النيابة لشياطين الانس فإنهم هم الذين يدخلون الآراء على شياطين الجن . وقال أيضاً من رحمة الله بنا أنه لما كان

(١) سورة فصلت الآية : ٣٦ .

هـذا العدو محجوباً عن إدراك أبصارنا ، جعل الله تعالى علامات لنا في القلب من طريق الشرع نعرفه بها تقوم لنا مقام البصر الظاهر ، لنتحفظ بتلك العلامة من العمل بالقائه وأعاننا الله عليه بالملك الذي جعله مقابلا له غيباً لغيب انتهى .

وقال أيضاً لنا شيطان لا هو إنسي ولا جني وذلك في صورة واحـــدة إذا اجتمعت شياطين الإنس والجن وأوحى بعضهم الى بعض فإنه يحدث بينهما شيطان آخر عند وسوستهم ، معنوي والفرق بين الثلاثة أن الشيطان الانسي والجني يفتح أحدهما باب للإلقاء في قلب العبد بما يبعد عن الله لا غير ، وأما الشيطان المعنوي فيستنبط من ذلك شبهاً وأموراً لم يقصدها ابليس ولا غيره ، ومثل هذا نسب الى الشيطان بحكم الأصالة لأنه الذي فتـــح باب الوسوسة ، وليس غرض الشيطان من الخلق إلا أن يجهلوه في الخواطر ويصدقونها ، واذا رأى الشيطان من عبد أنه محفوظ ووجد التأييد به محيط ولم يستطع الوصول اليه بالوسوسة ، تجسد له في صـورة انسان مثله فيتخيل العبد أنه انسان حقيقي ، فيأتيه بالاغواء من قبل أذنه فيدخل له فيما حجة الله عليه التأويلات الكثيرة ليوقعه في معاصي الله أدناه أن يقول له مثلك لا يؤاخذه الله لكونه كشف لك أنه الفاعل وأنه المقدر فإن رد ذلك دخـل عليه من باب حسن الظن ، وقال أحسن ظنك بالله أنه لا يؤاخذك وأنت عبده على كل حال في حال طاعتك ، وفي حال معصيتك وذلك لأن ابليس يعلم أن المؤمن لا يقدم على معصية الله ابتدأ دون تاويل وتزين لذلك الفعل ولو أن المؤمن كان يقدم على معصية الله بغير وسوسة إبليس ما أوجده الله انتهى .

وأما الثاني فالجواب عنه ما ذكره أبو زرعة العراقي وشراح الزبد أن الفرق بين خاطر الشيطان ووسواس النفس أن خاطر النفس لا ترجع عنه أي لأنه بحكم الشهوة وداعية الطبيعة وخاطر الشيطان قد ينقله إلى غيره إن صمم الإنسان على عدم فعله لأن قصده الإغواء لا خصوص معصية معينة انتهى .

وقال في منهاج العابدين اعلم أن للشيطان وساوس بمنزلة السهام التي يرمى بها وذلك انما يتبين بمعرفة الخواطر ، وأقسامها وهي في أربعة أقسام :

ما يحدثه في القلب ابتداء فيقال له الخاطر فقط .

وقسم يحدثه موافقاً لطبع الانسان ، فيقال له هوى النفس وينسب إليها .

وقسم يحدث عقيب دعوة الشيطان فينسب اليه ، فيقال له الوسوسة وينسب اليه بانه خاطر من الشيطان وان أردت أن تفرق بين خاطر يكون من هوى النفس أو من الله ابتداء فانظر فيه من ثلاثة أوجه :

أحدها ـ إن رأيته مصمماً ثابتاً ، فهو من الله أو من هوى النفس وإن وجدته مضطرباً متردداً فهو من الشيطان وكان بعض العارفين يقول مثل هوى النفس مثل النمر اذا حارب لا ينصرف الا بقمع بالغ وقهر ظاهر ، ومثل الشيطان مثل الذئب اذا طردته من جانب دخل من جانب .

الثاني ـ ان وجدته عقيب ذنب أحدثته ، فهو من الله اهانة وعقوبة لشؤم ذلك الذنب ، وان كان هذا الخاطر مبتدأ لا عقيب ذنب فاعلم أنه من الشيطان .

والثالث ـ ان وجدته لا يضعف بذكر الله ولا يزول ، فهو من الهوى وان وجدته يضعف ويقل بذكر الله فهو من الشيطان ، ودليل ذلك الآية والحديث انتهى . وقال في منهاج العابدين أيضاً ان أردت أن تفرق بين خاطر خير يكون من الله تعالى ومن الملك فانظر في ذلك من ثلاثة أوجه :

أحدها ـ أن تنظر فان كان قوياً مصمماً ، فهو من الله تعالى وان كان متردداً فهو من الملك اذ هو بمنزلة ناصح يدخل معك من كل جانب ووجه ويعرض عليك كل نصح رجاء رغبتك في الخير .

والثاني ـ منها ان كان عقب اجتهاد وطاعة فهو من الله سبحانه قال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[1] .

وإن كان مبتدأ فهو من الملك في الأغلب .

والثالث - إن كان في الأصول والأعمال الباطنة فهو من الله ، وإن كان في الفروع والأعمال الظاهرة ، فهو من الملك في الأكثر إذ لا سبيل له الى معرفة باطن العبد في قول أكثرهم . وأما خاطر الخير الذي يكون من قبل الشيطان استدراجاً الى شر يربو عليه . قال شيخنا ان وجدت نفسك في ذلك الفعل الذي خطر لك مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأن ومع أمن لا مع خوف ومع عمى العاقبة لا مع عمى البصيرة . فاعلم أنه من الشيطان فاجتنبه وان وجدت نفسك في ذلك الفعل على ضد ذلك مع خشية الله لا مع نشاط ومع تان ، لا مع عجلة ومع خوف لا مع أمن فاعلم أنه من الله تعالى أو من الملك انتهى .

المسئلة الثلاثون : كم أقسام الوسواس ؟ الجواب والله أعلم أنها خمسة أقسام :
قال أبو زرعة العراقي ما يقع في النفر من المعصية له مراتب :

الأولى - الهاجس وهو ما يلقى فيها ولا يؤاخذ فيه .

الثانية - الخاطر وهو جريان فيها وهو مرفوع أيضاً .

الثالثة - حديث النفس وهو تردده أن يفعل ذلك أم لا وهو مرفوع أيضاً .

الرابعة - الهم وهو قصد الفعل وهو مرفوع أيضاً .

الخامسة - العزم وهو قوة القصد والجزم به والمحكي عن المحققين الأخذ به لقوله ﷺ « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » انتهى .

وقال ابن العماد ، وقد يكون المعنى الواصل الى القلب من جهة الشيطان فاول ما يحدث في القلب غفلة فإن أنقذه الله منه وإلا صارت خطرة فان ردها الله وإلا صارت فكرة فإن صرفها الله والا صارت طبعاً ورينا انتهى .

---

(١) سورة العنكبوت الآية : ٦٩ .

هذا وأما كلام الصوفية في ذلك ، فقد سمعت ما جلوناه على مسامعك عن منهاج العابدين وفي الإحياء للغزالي أن الوسواس ثلاثة أصناف :

الأول ـ أن يكون من جهة التلبيس للحق فإن الشيطان قد يلبس الحق فيقول للإنسان لا تترك التمتع باللذات ، فان العمر طويل ، وهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين بنور الايمان والمعرفة .

الصنف الثاني ـ أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها ، وهذا ينقسم إلى ما يعلمه العبد يقيناً أنه معصية والى ما يظنه بغالب الظن .

الصنف الثالث ـ أن تكون وسوسته بمجرد الخواطر وتذكر الأحوال العامة والتفكر في الصلاة انتهى ، وتتمته تطلب من الإحياء .

وقال العارف الشعراني : ينقسم الخاطر الشيطاني إلى قسمين حسي ومعنوي . والحسي إلى قسمين لأن الشياطين قسمان ، شيطان إنسي وشيطان جني وحدث بين هذين الشيطانين في الانسان شيطان آخر معنوي ، وذلك أن شيطان الانس أو الجن إذا ألقى في قلب الانسان أمراً ما يبعده عن الله فقد يلقي أمراً خاصاً أو خصوص مسئلة بعينها ، وقد يلقي أمراً عاماً ويتركه فإن كان أمراً عاماً فتح له في ذلك طريقاً الى أمور لا يتفطن لها الجني ولا الانسي يتفقه فيها ويستنبط من تلك الشبه أموراً إذا تكلم علم ابليس الغواية منها فتلك الوجوه التي تنفتح له في ذلك الأسلوب العام الذي ألقاه إليه أولا شيطان الانس أو شيطان الجن تسمى الشياطين المعنوية انتهى .

هذا ودقايق وساوس الشيطان لا تنحصر في فرقة وتلك الأقسام أصول .

قال العارف الشعراني ، ومن دسايسه التي تخفى أن يجد الانسان في طاعة فيوسوس له بفعل غيرها لينقله منها ويفسخ عزمه ، ونيته الأولى مع الله تعالى . ثم

إن خالفه العبد في ذلك حسن له فعلا آخر ، وقال له أن ذلك الفعل أفضل مما أنت فيه ، ومن دسايسه أيضاً أنه ياتي العبد بالكشف الصحيح والعلم التام ويقنع منه أن يجهل من أتاه به ، ومن دسايسه أنه ياتي العبد بنور يكشف به معاصي العباد ويهتك به أستارهم ويظهر به عوراتهم فيظن ذلك المكاشف أنه على درجة عظيمة وإنما ذلك لأن الشيطان صار سمعه وبصره فيجب على ذلك المكاشف المبادرة إلى التوبة وإلا هلك ، ومن دسايسه التي تخفى غالباً على غالب الأولياء أنه ينظر الى قلب الولي ، فان رآه يستمد من العماء مثل له عماء وأتاه منه وكلمه منه أو عرشاً ، فكذلك أو كرسياً فكذلك أو سماء فكذلك فان كان سبق في علم الله حفظ هذا العبد منه أطلعه الله على أن ذلك مفتعل وتلبيس عليه من الشيطان ، فيرد خاسئاً وان لم يحفظ الله العبد هلك في الهالكين انتهى .

المسئلة الحادية والثلاثون : ما أسبابه : أسباب الوسواس الغفلة والسهو والهوى وقد أشار إلى ذلك المفسرون كالجلال المحلي ، حيث قال الذي يوسوس في صدور الناس إذا غفلوا فأفاد أن الغفلة يتسبب عنها الوسوسة . أخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه : «أن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس وإن نسي الله التقم قلبه» انتهى .

والقرآن العظيم دل على ذلك قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾(١) .

قال المفسرون فهو له قرين يوسوس له ويغويه . قال الغزالي مهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان محلاً فوسوس . ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله ، ومبدأ استيلائه اتباع الهوى ولا يمكن فتحه بعد ذلك إلا بتخليته عن قوت الشيطان ، وهو الهوى والشهوات

(١) سورة الزخرف الآية : ٣٦ .

وعمارته بذكر الله تعالى انتهى . وقال الغزالي أيضاً قوت الشيطان الشهوات فمن كان قلبه خالياً عنها انزجر عنه الشيطان بمجرد ذكر الله تعالى انتهي .

المسئلة الثانية والثلاثون : ما موانعه : موانع الوسواس جميع أنواع الذكر والتحصن بالله وبجميع أسمائه وصفاته وهو أعظمها سلاحاً منه ، فقد أمر الله سبحانه بالاستعاذة به من شره . قال الحكيم الترمذي قد أعطي الشيطان وجنده السبيل الى فتنة الآدمي وتزيين ما في الأرض له طمعاً في غوايته فهو يهيج النفوس الى تلك الزينة تهييجاً يزعزع أركان البدن ويستفز القلب حتى يزعجه عن مقره فلا يعتصم الآدمي بشيء أوثق ولا أحسن من الذكر ، لأنه اذا هاج الذكر من القلب هاجت الأنوار فاشتعل الصدر بنار الأنوار وهيج العدو نار الشهوات فاذا رأى العدو هيجان الذكر من القلب ولى هارباً وخمدت نار الشهوات وامتلأ الصدر نوراً فبطل كيده انتهي . وقال الطيبي وسوسة الشيطان تجري في الانسان حيث يجري فيه الدم من عروقه والشيطان انما يستحوذ على النفس وينفث وسواسه في قلوب العباد بواسطة الأمارة بالسوء ومركبها الدم ومنشا قواها منه . فعلاجه بسد المجاري بالجوع والصوم لأنه يقمع الهوى والشهوات التي هي أسلحة الشيطان انتهى .

وقال الخطيب الشربيني : لما كان الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء غير السام وهو الموت وكان قد جعل دواء الوسوسة ذكره تعالى فإنه يطرد الشيطان وينور القلب ويصفيه ولهذا وصف الحق سبحانه الوسواس بقوله الخناس أي الذى عادته أن يخنس أي يتوارى ويتاخر ويختفي من بعد ظهوره مرة بعد أخرى كلما كان الذكر خنس وكلما بطل عاد إلى وسواسه فالذكر له كالمقامع التي تقمع المفسد فهو شديد النفور منه ولهذا كان شيطان المؤمن هزيلاً كما ورد الحديث انتهى .

وقال الغزالي رحمه الله تعالى : قوت الشيطان الشهوات ، فمن كان قلبه خالياً عنها انزجر عنه بمجرد ذكر الله تعالى كما لو وقف عليك كلب جائع وليس عندك

ما يا كل فبمجرد أخنس اندفع ، فإن كان عندك ذلك هجم ولم يندفع بمجرد الكلام فالشهوات إذا غلبت على القلب دفع حقيقة الذكر إلى حواشي القلب ولم يتمكن من سويداه فيستقر الشيطان فيه والقلوب الخالية من الهوى والشهوات يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فإذا عاد إلى الذكر والصلاة انطرد الشيطان وإن كنت تقول الحديث ورد مطلقاً بان الذكر والصلاة يطرد الشيطان ولم تفهم أن أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين ، فانظر لنفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل أين منتهى ذكرك وصلاتك فراقب قلبك وانظر كيف يجاذبك الشيطان إلى الأسواق وحساب المعاملين وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهالكها ، حتى أنك لا تتذكر ما نسيت من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا فيها والصلاة محك القلوب كما أن الله تعالى قال :

﴿ أُدْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1] .

وأنت تدعو ولا يستجاب لك فكذا تذكر الله ولا يهرب الشيطان عنك لفقد شروط الذكر والدعاء انتهى .

وقال المناوي في فيض القدير على حديث « إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون بالروحاء » ما لفظه قصد الشارع بهذا الحديث الإرشاد الى طريق محاربة الشيطان فإن الانسان بصدد عبادة الحق ، ودعوة الخلق اليه بفعله وقوله والشيطان أبداً بصدد أن يناقضك ويكايدك أن تنتصب لمحاربته وقهره . فمن أعظم ما يقهره ويبعده ويزجره الأذان وملازمة الذكر انتهى .

وقال على حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه « إن الشيطان ياتي أحدكم فيقول من خلق السماء فيقول الله ، فيقول من خلق الأرض ، فيقول الله ، فيقول من خلق الله ، فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله » ما نصه فإذا

(١) سورة غافر الآية : ٦٠

التجأ الإنسان الى الله في دفعه اندفع بخلاف ما لو اعترض انسان بذلك فإنه يمكن دفعه بالبرهان . والفرق أن الآدمي يقع منه سؤال وجواب والحال معه محصور بخلاف الشيطان كلما ألزم حجة زاغ لغيرها . قال الغزالي من مكايد الشيطان حمل العوام ، ومن لم يمارس العلم ولم يتبحر فيه أغراه على التفكر في ذات الله وصفاته في أمور لا يبلغها حد عقله حتى يشككه في أمر الدين أو يخيل اليه في الله خيال تعالى الله عنه فيصير به كافراً أو مبتدعاً ، وهو به فرح مسرور ومبتهج بما وقع في صدره ويظن أن ذلك هو المعرفة والبصيرة والنبي ﷺ لم يجعل علاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا وسواس يجده العوام دون العلماء وانما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعاشهم ويتركوا العلم للعلماء ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقايد والمذاهب أكثر من أن تحصى انتهى .

قلت : وقد ورد في بعض الأحاديث بعد قوله ﷺ : « فليقل آمنت بالله ورسوله » زيادة أخرجها النسائي وأبو داود ولفظها « فليقرأ قل هو الله أحد الخ » « ثم ليستعذ » . وفي رواية للبخاري « فليستعذ بالله ولينته . قال العزيزي أي عن الاسترسال معه في ذلك ، ويلجأ الى الله ويعلم أنه انما يريد افساد دينه وعقله بهذه الوسوسة انتهى .

وقال المناوي : على حديث « عليكم بالجماعة والعامة والمسجد » أي لزومه فانه مجمع الأخيار وموطن الأبرار وأحب البقاع الى الله تعالى ومنه يفر الشيطان فيغدو الى السوق وينصب كرسيه وسطه ، ويبث جنوده ، فمن بين مطفف في كيل وطايش في وزن ومنفق سلعته بيمين مفتراة ويقلبهم الى المكاسب الردية . واضاعة الصلواة ومنع الحقوق ، فلا يزال ذلك دأب الشيطان مع أهل الغفلة من دخول أولهم الى خروج آخرهم والدواء النافع من ذلك لداخله تقوى الله تعالى ولزوم الذكر المشهور المندوب لداخل السوق الذي يكتب لقايله فيه ألف ألف حسنة ويحط

عنه ألف ألف خطيئة ويرفع له ألف ألف درجة انتهى .

والذكر المشهور هــو ما رواه الترمذي وابن ماجه وابن أبي الدنيا والحاكم وصححه عن عمر رضي الله عنه رفعه « من دخل السوق فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » الحديث انتهى .

وذكر في إحياء علوم الدين أن للشيطان مداخل يدخل فيها إلى القلب منها : العجب والرياء والحسد والهوى والشهوة والغفلة وساق المهلكات ، ثم قال والعلاج في دفع الشيطان سد مداخله ، وتطهير القلب منها . وقال في منهاج العابدين ، فإن قلت بأي شيء أحارب الشيطان وبأي شيء أقهره وأدفعه ، فاعلم أن لأهل هـذه الصناعة في هذه المسئلة طريقين :

أحدهما ما قال بعضهم أن التـدبير في دفع الشيطان الاستعاذة بالله لا غير فإن الشيطان كلب سلطــه الله عليك : فإن اشتغلت بمحاربته ومعالجته تعبت وضاع عليك وقتك ، وربما يظفر بك فيعقرك أو يجرحك ، فالرجـوع إلى رب الكلب ليصرفه عنك أولى .

الثاني ـ ما قال آخرون أن الطريق المجاهدة والقيام عليه بالدفع والرد والمخالفة والذي عندي أن الطريق العدل الجـامع في أمره أن يجمع بين الطريقين فيستعيذ بالله ، ثم إن رأيته يتقلب فاعلم أنه إبتلاء منه سبحانه ليرى مجاهدتنا وصبرنا كما أنه سلط علينا الكفار مع قدرته على كفاية شرهم ؛ ومحاربته في ثلاثة أشــياء تعرف مكايده وحيله . والثاني الاستخفاف بدعوته . والثالث إدامة ذكر الله تعالى انتهى .

وفي فيض القدير على الحديث الذي أخرجه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان والطبراني والبيهقي ؛ عن سمرة بن جندب رضي الله عنه « إن للشيطان كحلاً ولعوقاً فإذا كحل الإنسان من كحله نامت عيناه عن الذكر وإذا لعقـه من لعوقه ذرب لسانه بالشر » ما لفظه ؛ وينشأ عن ذلك الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير

والمجانة والعبث والملق والتهور والصلف والاستشاطة والمكر والخديعة والدهاء والحيلة والتلبيس والغش وأمثالها فإن قهره الانسان بقوة العلم والبصيرة ورد نفسه الى الاعتدال وألزمها صفات الكمال عادت الى صفة الصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والشهامة والوقار وغيرها ؛ وفي الحديث إشعار بأن لزوم الذكر يطرد الشيطان ويجلو مرآة القلب وينور البصيرة :

﴿ إِنَّ الذِينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَايِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَاذَا هُمْ مبْصِرُونَ ﴾[١] .

فاخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر ؛ وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى انتهى .

قلت : ويؤيده ما في الحديث أنه ﷺ اختصم عنده رجلان فانتفخت أوداج أحدهما وغضب فقال ﷺ : « إني لأعلم له دواء لو قاله لذهب عنه هـذا لو قال أعوذ بالله من الشيطان لذهب عنه هذا » . الحديث أو بمعناه ؛ ففيه إرشاد إلى أن الإستعاذة دواء من الصفات الذميمة . وفي فيض القدير أيضاً على حديث « إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان » . ما نصه تنبيه ظاهر الخبر أن لكل نوع من المخالفات والوسواس شيطاناً يخصه ويدعو اليه . قال الغزالي واختلاف المسببات تدل على اختلاف الأسباب .

قال مجاهد لإبليس خمسة أولاد جعل كل واحد منهم على شيء ، وهم ثبر والأعور وسوط وداسم وزلنبور فثبر صاحب المصايب الذي يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية والأعور صاحب الزنا يامره ويزينه لهم ، وسوط صاحب الكذب وداسم يدخل مع الرجل على أهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم وزلنبور صاحب السوق .

(١) سورة الاعراف الآية : ٢٠١

وشيطان الصلاة يقال له خنزب والوضوء يقال له الولهان ، وكما أن الملائكة فيهم كثرة ففي الشياطين كثرة : تتمة الوسوسة من آفات الطهارة ، وأصلها جهل بالسنة أو خبال في العقل ومتبعها متكبر مذل لنفسه سيء الظن بعباد الله معتمد على عمله معجب به وعلاجها بالتلهي عنها والاكثار من سبحان الملك الخلاق :

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾[1] .

كذا في النصايح ، قال الحكيم : فأما القلوب التي ولجها عظمة الله وجلاله فهابت واستقرت ، فقد انتفي عنهم وسواس عدوهم .

قال ومن هنا أنب رسول الله ﷺ الوسوسة فقال هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم ؛ ثم روى حديثاً أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ : فقال إني أدخل في صلاة فلم أدرأ علي شفع أم علي وتر من وسوسة أجدها في صدري . فقال رسول الله ﷺ : « إن وجدت ذلك فاطعن أصبعكم هذه يعني السبابة في فخذك اليسرى وقـــل بسم الله فإنها سكين الشيطان أو مديته » انتهى .

فكل هذه الأقوال التي أوردناها مرشدة إلى أن مطردة الشيطان وموانعه ، ذكر الله تعالى وطهارة القلب والمجاهدة والإستعاذة بالله منه ومن ذكر الله تعالى الأذان كما ورد به الحديث الصحيح ، وآية الكرسي فإنه لن يزال على قاريها حافظ من الله تعالى ولا يقربه شيطان ولما نزلت طردت شياطين المدينة الى الشام وخواتيم سورة البقرة لوصف النبي ﷺ لها بالكافية وجميع ذكر الله تعالى ؛ لكن بالشرط المار الذي ذكر الإمام الغزالي فإن مطلق الذكر من القلب الغافل لا يجدي واستشكل فرار الشيطان من الأذان دون الصلاة مع أن فيها أذكاراً كثيرة وأجاب المناوي بانه إنما يأتي فيها مع ما فيها من القرآن لأن غالبها سر ومناجات فله فيها تطرق الى افسادها

(١) سورة ابراهيم الآية : ١٩ و ٢٠ .

على فاعلها وافساد خشوعه بخلاف الأذان ، فإنه يرى اتفـــاق كل المؤذنين على الإعلام وعموم الرحمة لهم مع يأسه من رد ما أعلنوا به عليه ويذكر عصيانه ومخالفته فلا يملك الحدث .

خاتمـــة : ختم الله لنا بالايمان ، ولما طال الكلام في أمر الوسوسة أعاذنا الله منها وكان الخاطر الذي يخطر في النفس قد يشتبه على المرء ، أهو ملكي أو إلهامي أو شيطاني حسن أن نلحق ذلك ببيـان ميزان الخواطر على سبيل الاختصار من جمع الجوامع وشروحه فاذا القي في قلبك أمر فزنه بميزان الشرع ولا يخلو إما أن يكون مأموراً به أو منهياً عنه أو مشكوكاً فيه ويعبر عن هذا الذي ألقي في القلب بالخاطر . الأول : أن يعلم أنه مامـــوراً به شرعاً إما على طريق الوجوب أو الاستحباب فليبادر الى فعله فانه من الرحمن؛ثم يحتمل أن يكون الهاماً من الله تعالى له ويحتمل أن يكون من القاء الملك في الروع والفرق بينهما أن الملك قد تعارضه النفس والشيطان بالوسواس بخلاف الخواطر الالهمية فانها لايردها شيء بل تنقاد لها النفس والشيطان طوعاً أو كرهاً .

الثاني ـ أن تجد ذلك الأمر منهياً عنه شرعاً ، فلا تقربه فإن ذلك الخاطر من الشيطان وقد يكون من النفس وقد عرفت الفرق بينهما مما سبق .

الثالث ـ أن يشك في ذلك الشيء إما مامور به أو منهي عنه ، فعليه الامساك ندباً لحديث : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » وقد يكون الامساك واجباً انتهى .

قال المناوي على حديث « أن للشيطان لمـة وللملك لمة فاما لمـة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمـة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله تعالى ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان» ما لفظه التمييز بين اللمتين لا يهتدي اليه أكثر الناس والخواطر بمنزلة البـذر فمنها ما هو بذر السعادة ومنها ما هو بذر الشقاوة وسبب اشتباه الخواطر أربعة أشياء

لا خامس لها كما قاله العارف السهروردي ضعف اليقين أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى أو محبة الدنيا جاهها ومالها وطلب المنزلة عند الناس فمن عصم من هذه الأربعة فرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلي بها لم يفرق وانكشاف بعض الخواطر دون بعض لوجود بعض هذه الأربعة دون بعض واتفقوا على أن من أكل الحرام لا يفرق بين الوسوسة والإلهام وقال الغزالي اعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعاً أنه داعي الشر فلا يخفى كونه وسوسة ؛ وإلى ما يعلم أنه داعي إلى الخير ؛ فلا يشك في كونه إلهاماً وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان فإن من مكايد الشيطان أن يعرض الشر في معرض الخير والتمييز بينهما غامض فحق العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه لمة الملك أو لمة الشيطان وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى الطبع ولا يطلع عليه الا بنور اليقين وغزارة العلم .

﴿ إِنَّ الذينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (١) .

والله أعلم نسأله أن يسلك بنا الطريق الأقوم ، وأن يعيذنا من شرور الجنه والناس ويكشف عن تلبيس ابليس حجاب الإلباس ويعصمنا من أغوايه واضلاله وأن يجعلنا من فضله من عباده المخلصين بحق أسمايه والحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتد لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على النبي الكريم الأواه محمـد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه آمين آمين .

★ تم نسخ هذا الكتاب عن نسخة خطية ضمن المجموعة رقم « ١ » ★
(بمكتبة الحرم المكي الشريف)

بقلم الفقير الى عفو الله علي بن عبد الله عبد الرحمن محمد الأهدل . وتم نسخه ومقابلته يوم الاثنين ٢٤ / ١٢ / ١٤٠٢ هـ .

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٢٠١ .

فهرس إيقاظ الحواس في بعض أسرار سورة الناس

صفحة	الموضوع
٣	ترجمة المؤلف :
٥	مقدمة الكتاب :
٥	المسئلة الأولى : ما النكتة في ذكر قل من جملة الدعاء ولم تذكر السورة مجردة عن ذلك .
٨	المسئلة الثانية : ذكر في الجلالين أن بسم الله الرحمن الرحيم في الفاتحة متعلقة بقولوا محذوفة .
١٠	المسئلة الثالثة : ما النكتة في ايثار أعوذ على أستعيذ .
١١	المسئلة الرابعة : ما النكتة في ايثار المضارع على أعذني .
١٣	المسئلة الخامسة : ذكر في سورة الفلق من الأسماء الحسنى اسم الرب وذكر في سورة الناس ثلاثة أسماء
١٥	المسئلة السادسة: ما النكتة في تخصيص اسم الرب والملك والإله في سورة الناس
١٥	المسئلة السابعة : ما النكتة في الترتيب بينها .
١٦	المسئلة الثامنة : هل الأولى أن يجعل من باب تعدد النعت أو تعدد البدل أو تعدد عطف البيان أو الجميع على حد سوا .
١٧	المسئلة التاسعة : ما النكتة في الإظهار في موضع الإضمار في ملك الناس إله الناس .
١٨	المسئلة العاشرة : هل يصح أن يكون الناس في الجميع اسم فاعل من النسيان حتى يشمل الجن والإنس .
١٩	المسئلة الحادية عشر : قوله من شر الوسواس هل فيه حذف التقدير من شر وسوسة الوسواس .
٢٠	المسئلة الثانية عشر : ما النكتة في الاستعاذة من الوسواس ولم يستعذ من عمله .

صفحة	الموضـــــوع
٢٠	المسئلة الثالثة عشر : ما النكتة في إيثار الذي يوسوس على الموسوس .
٢١	المسئلة الرابعة عشر : الذي يوسوس بعد قوله الوسواس هل هو من باب الإطناب .
٢٢	المسئلة الخامسة عشر : التعريف بالإسم الموصول لمعان فما هو المناسب هنا
٢٢	المسئلة السادسة عشر : ما النكتة في إيثار الذى على من يوسوس .
٢٣	المسئلة السابعة عشر : ما محل في صدور الناس .
٢٣	المسئلة الثامنة عشر : ما النكتة في إيثار صدور على قلوب أو أفكار .
٢٧	المسئلة التاسعة عشر . الناس في صدور الناس هل يصح أن يكون اسم فاعل من النسيان ويكون من الجنة والناس بياناً له
٢٧	المسئلة العشرون . هل الناس جمع أو اسم جمع أو اسم جنس .
٢٩	المسئله الحادية والعشرون . ما النكتة في إيثار الجنة على الجن .
٣٠	المسئلة الثانية والعشرون : ما النكتة في تقديم الجنة على الناس .
٣٠	المسئلة الثالثة والعشرون . ما محل من الجنة والناس .
٣٢	المسئلة الرابعة والعشرون . ما الأولى أن يتعلق من الجنة والناس في قوله في صدور الناس .
٣٢	المسئلة الخامسة والعشرون . من الجنه والناس هل هو ظرف مستقر أو لغو .
٣٣	المسئلة السادسة والعشرون : الإسناد في يوسوس حقيقة عقلية .
٣٤	المسئلة السابعة والعشرون . ما النكتة في ختم سور القرآن بهذه السورة
٣٦	المسئلة الثامنه والعشرون : ما حقيقة الوسوسة لغة وشرعاً .
٣٨	المسئلة التاسعة والعشرون : ما علامة وسواس الإنس وما علامة وسواس الجن .
٤١	المسئلة الثلاثون . كم أقسام الوسواس .

الموضـــــــــــوع	صفحة
المسئلة الحادية والثلاثون . ما أسبابه .	٤٣
المسئلة الثانية والثلاثون ، ما موانعه	٤٤
لإبليس خمسة أولاد جعل كل واحد منهم على شيء	٤٨
تتمة الوسوسة من آفات الطهارة وأصلها جهل بالسنة أو خبال في العقل	٤٩
خاتمة ختم الله لنا بالإيمان : هل الخاطر ملكى أو إلهامي أو شيطـاني والفرق بين كل منهم .	٥٠

★ لقد تم بحمد الله وتوفيقه طبع هذا الكتاب ★

يوم الخميس الموافق للخامس عشر من شهر رجب الحرام الفرد
سنة ثلاث وأربعمائة بعـــد الألف من الهجرة الشريفـــة